وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى وفرنسا في عهد المولى إسماعيل 1672-1727م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبين:

- باب الجريد عمر الفاروق
- الراشدي مراد

إشراف: د/ بن قايد عمر

الموسم الجامعي:

1439-1440هـ/2018-2019م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية رقم: /

قسم التاريخ

العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى وفرنسا في عهد المولى إسماعيل 1672-1727م

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصّص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبين: **إشراف: د/** بن قايد عمر

- باب الجريد عمر الفاروق
- الراشدي مراد

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
د/الشافعي درويش	جامعة غرداية	رئيسا
د/ بن قايد عمر	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د/بن قومار جلول	جامعة غرداية	عضوا مناقشا

تاريخ المناقشة:22 جوان2019

الموسم الجامعي: 1439-1440هـ/2018-2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ 11﴾.

سورة المجادلة الآية11

الشـــــــكر والتقدير

الحمد لله والشكر له على النعمة الممدات، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين الحمد لله الذي وفقنا وهدانا وسدد خطانا لإتمام هذه الدراسة.

نتقدم بجزيل الشكر وأسمى عبارات التقديم والاحترام إلى الأستاذ المشرف الدكتور "عمر بن قايد" على ما قدمه لنا من نصائح وتوجهات ومتابعته الدائمة في إتمام هذه الدراسة، فنسأل المولى عز وجل ان يحفظه ويبارك له، كما لا يفوتنا ان نشكر كل أساتذتنا في قسم التاريخ الذين تعلم منهم وسهروا على تكويننا طيلة مشوارنا الجامعي.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى لجنة المناقشة التي تفضلت بقبولها مناقشة مذكرتنا.

والشكر الموصول بالمحبة والتقديم إلى كل من كان عونا وسندا لنا من قريب او بعيد في إتمام وإنجاز هذه المذكرة.

الإهـــــداء

أهدي ثمرة هذه الدراسة إلى من قال فيهما الله عزو وجل{ووصينا الإنسان بوالديه حسنا}

إلى رمز الجد والعطاء والمثابرة والتضحية " **أبي**" الذي حرص على راحتي والسهر على نجاحي.

وإلى التي مصدر الإلهام والسعادة والحنان والعطف " **أمي**" التي حرصت أشد الحرص على دراستي، ووجدت فيها السند القوي في مشواري الدراسي، فيارب أحفظها وبارك في عمرها وأدم الصحة والعافية عليها.

وإلى كل عائلة **باب الجريد**، وأخص بالذكر أخواتي كل واحدة بإسمها، وإلى إخوتي،

مسعود، صالح ، عبد الرحمان، وإلى روح الفقيدين أخوَي، **محمد، والسايح** رحمهما الله.

وإلى أزواج أخواتي ، **عبد القادر ، يوسف، إبراهيم، عبد الحفيظ**.

وإلى أبناء أخواتي كلا من، **يونس، حذيفة، إبراهيم، خديجة، هالة، ابتهال، الياس، خليل ، سراج الدين، أحمد ياسين ،أشرف عماد الدين، وإلى كتاكيت الصغار، رافع عبد الفتاح، عبد الباسط عبد الصمد، نسرين، عبد القادر الجيلالي، و قصي ، أبرار, عائشة، شعيب**.

وإلى رفيقي في إنجاز الدراسة الذي تقاسم معي السهر والجهد لإنجازها صديقي مراد الراشدي

إلى من جمعتنا بهم المحبة والأخوة والصداقة، طيلة أيام الدراسة كل من، نور الدين، موسى، مهدي، ولا أنسى صديقي ورفيقي طيلة مشواري الدراسي عبد الله زرباني نِعْم الأخ والصديق.

وإلى كل الزملاء والزميلات في دفعة 2019 تاريخ المغرب العربي الحديث

والى الطاقم التربوي من أساتذة وإداريين في قسم التاريخ جامعة غرداية

وإلى كل من مد لي يد العون والمساعدة من قريب أو بعيد.

عمر الفـاروق

الإهـــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾

أهدي هذا العمل إلى من سهرا على راحتي وتذوقا مرارة الجوع والحرمان لنجاحي ،إلى من وجدت فيهما الشجاعة ،التواضع والحنان ،إلى من علماني أن أكون رمزا للإجتهاد والثقة وبالنفس، إلى من أحمل إسمهما بكل فخر وإعتزاز .

إلى والديا الكريمان حفظهما الله

إلى من أرى في وجوههم النور و الإبتسامة ، إلى من كانوا سندا لي وروحي في الحياة إلى من أحبهم حباً لا مثيل له

إلى إخوتي رعاهم وحفظهم الله.

إلى رفيق دربي وسندي في الدراسة، إلى من تقاسمت معه الحلو والمر، إلى من اجتهد وتعب لإنجاح هذا العمل.

إلى صديقي الغالي عمر الفاروق حفظه الله

إلى كل من كانوا رمزاً للصداقة ونعمة الإخوة ، إلى من وجدت فيهم الطيبة والمحبة ،إلى من رسموا البسمة على وجهونا ،و أناروا طريق العلم في قلوبنا ، إلى من جمعت بيننا أيام الدراسة وكانت بيننا ذكريات و محبة كل من الجيلالي ، عبد الله ،عمر، أسعد، خالد رسيوي، عبد الكريم ، إدريس، موسى ،يوسف، عمر أولاد العيد، سعد، خالد ميمون، حيدر، مبروك، حداد بن التواتي . إلى كل أصدقائي في الدفعة

إلى كل من نساهم قلمي وهم في قلبي، كل من لم أكتبهم في مذكرتي غير أنهم في ذاكرتي.

إلى كل من يحب هذا الوطن العزيز "الجزائر".

الراشدي مراد

قائمة الرموز والمختصرات المستعملة في الدراسة بالعربية والفرنسية.

الرمز	معناه
تح	تحقيق
تق	تقديم
تع	تعليق
ص	صفحة
ط	طبعة
ج	جزء
ص ص	صفحات عديدة متلاحقة
N°	Numéro
P	Page
T	Tome
Vol	مجلد

مـــقدمة

تميزت منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط في الفترة الحديثة بتنوع الأحداث، بين ضفتيه الشمالية المتمثلة في الدول الأوروبية المسيحية، والجنوبية والمتمثلة في البلدان المغاربية الإسلامية، بعدما طرأت متغيرات في ميزان القوة الذي إحتكرته أوروبا سياسيا وعسكريا منذ القرن10هـ/16م.

كانت فرنسا إحدى الدول التي سعّت في ايجاد موطأ لها مع هذه القوى، خاصة بالتحالف مع العثمانيين لمواجهة أعدائها وتوسيع نفوذها الاقتصادي والدبلوماسي، بعد تنامي الحكم المطلق بالقارة الأوروبية، والذي جسده الملك لويس الرابع عشر في فرنسا بحكمه المطلق وانفراده في السلطة والقرارات، وتحقيقه لعدة انتصارات اكسبته شهرة دولية وإقليمية كان لها تأثير على الأوضاع السياسية والعلاقات الدولة بين دول ضفتي البحر المتوسط.

و هذا لم يمنع من فتحت قنوات وجسور، رُسِّمَت معالمها في ربط علاقات سياسية واقتصادية بين ضفتي المنطقة، فقد تميّز هذا التقارب تباين في السلم الحذر والصراع في فترات معينة، وكان المغرب الأقصى أحد بلدان الضفتين الذي إندمج مع الوضعية السائدة بالمنطقة، التي شهدت في القرن11هـ/17م مرحلة دقيقة على مستوى العلاقات الدولية في الحوض الغربي للمتوسط. وهذا ما جعلنا نختار موضوع مذكرتنا لشهادة الماستر الموسومة بعنوان: "**العلاقات السياسية بين المغرب الأقصى وفرنسا في عهد المولى إسماعيل1672-1727م**".

شكلّت الأحداث والتطورات التي عاصرها المولى إسماعيل ،بروز محركات في العلاقات بين السلطان المغربي والدول الأوروبية ،أهمها مسألة الأسرى وإفتدائهم التي أعتبرت ظاهرة متنامية في المنطقة المتوسطية، لتحرك الدول الآلة الدبلوماسية والسفارية من أجل تحريرهم وفك أسرهم، حيث شهد البلاط الملكي الفرنسي عدة بعثات مغربية إليه، والأمر ينطبق على المخزن المغربي الذي أستقبل سفارات ومبعوثي الملك الفرنسي سواء في الوضع المستقر في العلاقات أو في مرحلة القطيعة والجمود في العلاقات.

ثم إنَّ التقدم الحاصل في القارة الأوروبية في المجال الإقتصادي والعسكري والملاحة البحرية، أوجب على المولى إسماعيل في البحث عن شريك وحليف قوي ، يدعم طموحاته لتحقيق أهدافه، فما كان عليه إلا اختيار فرنسا كونها لا تحتل أي جزء من الأراضي المغربية عكس باقي الدول الأوروبية التي أحتلت أجزاء منها؛ وكذا قدم التمثيل القنصلي الفرنسي بالمغرب، والرغبة في تطوير هذه

العلاقات وإيجاد حلول لأهم القضايا والمشاكل بين البلدين، وشهرت لويس الرابع عشر في القارة الأوروبية وتنامي قوته بتحقيق انتصارات على منافسيه، خاصة الإسبان العدو المشترك بينه وبين المولى إسماعيل.

– دوافع اختيار الموضوع:

هناك مجموعة من العوامل والدوافع، التي جعلتنا نختار موضوع الدراسة نَذْكُرُ منها:

– إن البحث في العلاقات السياسية للمغرب الأقصى مع دول غرب أوروبا المتوسطية وخاصة فرنسا منها خلال القرن11هـ/17م مهم جداً، لما يميز هذه العلاقات تباين في الأحداث وتداخل في المعطيات.

– الرغبة في دراسة تاريخ المغرب الأقصى الحديث لما فيه من تنوع الأحداث والتطورات، التي جعلته يتبوأ مكانة دولية وإقليمية هامة.

– التعرف على الدور الذي لعبه سلاطين المغرب في إرساء دعائم قوة المغرب على الساحة المغاربية ومكانته ،وفي علاقاته بالدول الأوروبية.

– البحث في شخصية المولى إسماعيل الذي يعتبر المؤسس الفعلي للدولة العلوية، وباعث لقوتها ووحدتها الجغرافية.

– معرفة الدور الفرنسي في البحر المتوسط مع اعتلاء لويس الرابع عشر الملك، والملكية المطلقة في الحكم وسياسته الخارجية القائمة على الغطرسة، ومدى تأثيرها على البلدان المغاربية خاصة المغرب الأقصى.

– مدى مساهمة الدبلوماسية المغربية في الحفاظ على مصالحها الإقتصادية والسياسية مع الدول الأوروبية.

– يعتر القرن11هـ/17م مليء بالأحداث و التطورات الحاصلة في المنطقة، بظهور فرنسا كقوة عسكرية واقتصادية والمغرب الأقصى مع حكم الأسرة العلوية التي أسست لملكية حاكمة إلى يومنا هذا.

– معرفة محركات والآليات التي أوجدت ورسمت العلاقات بين المغرب الأقصى وفرنسا، كالأسرى والجهاد البحري.

– معرفة الأحداث والصراعات الدينية التي شهدتها أوروبا من حروب وراثية ساهمت في تقسيمها وضعفها، وعجلّت بعقد معاهدات تنهي حالة الفوضى والحرب ،وظهور أنظمة حكم جديدة عمادها الملكية المطلقة.

– البحث وتقصي الأحداث في الكتابات الأجنبية في تناولها لهذه العلاقات، ومقارنة ما كتبه المغاربة.

– تشجيع الأستاذ المشرف لنا في الخوض والبحث في موضوع العلاقات، لدراسة فترة مهمة من تاريخ البلدين في العصور الحديثة، وكيفية معالجة المواضيع الشائكة.

– الهدف من الدراسة:

إنّ الهدف من الدراسة، هو إبراز العلاقات السياسية، والتمثيل الدبلوماسي، للمغرب الأقصى وفرنسا، خلال القرن11هـ/17م،الذي فترة مهمة وحاسمة في تاريخ علاقات دول البحر الأبيض المتوسط، نظرا لما امتاز من تعقيد وصراع واحداث وتطورات مختلفة، فالجانب الفرنسي بنيّت سياسته الخارجية اتجاه المغرب بالغموض الذي يكنفها الصراع و اللاسلم وتارة السلم الحذر، وكذا سعي السلطان المغرب في البحث عن حليف قوي يشاركه في طموحاته لبناء وتقوية دولته ، فكان الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، الوحيد من بين باقي الملوك الدول الأوروبية الأخرى، وإبرازا المحركات التي ساعدت في توجيه العلاقات بين المولى إسماعيل وفرنسا أهمها مسألة الأسرى و إفتدائهم بين الطرفين، وتبادل السفارات والقناصل والبعثات الدبلوماسية.

– الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

تنحصر فترة الدراسة في الربع الأخير من القرن 11هـ، والقرن17م، والربع الأول من القرن12هـ/18م، فسنة 1082هـ/1672م تؤرخ لبيعة وإعتلاء المولى إسماعيل العرش المغربي، وصولا إلى 1139هـ/1727م، تاريخ وفاة السلطان مولاي إسماعيل بن المولى الشريف، هذا بالنسبة للمغرب الأقصى، أما لفرنسا يتمثل سنة1672م السنوات الأولى لحكم لوبس الرابع عشر ، وبداية

الحروب الوراثة الإسبانية، وتمثل سنة 1727م بداية الحروب الإسبانية الإنجليزية، وانتهاء حكم لوبس الرابع عشر.

– الإشكالية المطروحة في الدراسة:

تتمحور الإشكالية من التساؤلات التالية:

تباينـت العلاقـات المغربيـة الفرنسـية في عهـد الدولـة العلويـة بالصـدام والسـلم الحـذر وتارة الجمـود والقطيعة، ومنه بإمكاننا طرح عـدة إشكاليات وتسـاؤلات : **مـا طبيعـة العلاقـات المغربيـة الفرنسـية ،وبما تميزت؟ السلم أم العداء والحرب؟ وما هي أبرز القضايا التي حركّت هذه العلائق؟ و ما الدور الذي لعبه التمثيل الدبلوماسي وتبادل السفارات بين البلدين؟**.

– الدراسات السابقة:

تميز موضـوع العلاقـات المغربيـة الفرنسـية بكثـرة الدراسـة مـن الجانـب الأوروبي، وتم معالجتـه مـن مختلف الجوانـب، حيث طغى عليه النظرة الغربية في الطرح للأحـداث، ممـا يستدعي إعـادة قراءتهـا، والنظر فيهـا، أمـا الكتـابات المغربيـة فهـي قليلـة مقارنـة مـع مـا ألفـه الغربيـون، وهـذا لا يسـتثني وجـود دراسات في التاريخ السياسي والدبلوماسي للمغرب على غرار ما كتبه الأستاذ عبد الهادي التازي، في موسوعته ، في التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى يومنا، وهو عبارة عن مؤلف بعشرة أجزاء، تطرف فيه إلى العلاقات الدبلوماسية للمغرب، وجعل المجلدين التاسع والعاشر للفترة العلوية.

وما كتبته الدكتورة ليلي مزيان بعنوان" **سلا والقراصنة1727/1666،ميناء سباق مغربي في القرن السابع عشر**". صدر سنة 2007م.

– Salé et ses corsaires 1666/1727, un port de course marocain au 17éme siecles, ed.univ-rouen havre ,2007.

ودراسة نوال بيير**(Noel-Pierre)** بعنوان: " **تقارير فرنسا والمغرب، دراسة التاريخ الدبلوماسي والقانون الدولي** ، باريس 1905."

– les rapports de la France et du Maroc, etude d'histoire diplomatique et de droit international, paris 1905.

ورسالتين بالفرنسية للطالب سعيد ربيح من جامعة السوربون بعنوان:

1– ربيع سعيد: "**النظرة الفرنسية على مبعوثي المغرب من القرن السابع عشر والثامن عشر**، دبلوم الدراسات العليا ، تحت إشراف جان بيير دوتيل ، جامعة باريس السابعة، سانت دينيس "

1-Rabih SAIED: **Le Regard Francais Sur Les Envoyé Maroquins Du XVIIe Et XVIIIe Siecles, Mémoire de D.E.A. Diplôme d'Etudes Approfondies rédigé**, sous la direction de jean Pierre Duteil, Universite Paris vii vincennes saint-Denis, 1999-2000.

2– والرسالة الثانية هي: "**سفارتان مغربيتان في فرنسا في القرن السابع عشر صور وتمثيلات من القرن السابع عشر لفرنسا في سفيرين مغاربة** ، درجة ماجستير في التاريخ ، إدارة، الأستاذ جان غالر ، جامعة بيكاردي جول فيرن ،كلية التاريخ والجغرافيا السنة الجامعية ، 1998-1999."

2– Rabih SAIED: **Deux Ambassades Marocaines En France XVII Siecle**

Images et représentations de la France du XVII siècle chez deux ambassadeurs marocains, Maitrise 'Histoire, Directeurs, M.Le Professeur Jean Galler M. Christophe Duhamelle, Universitaire De Picardie Jules Verne Faculte D'Histoire Et De Géographie Année Universitaire, 1998-1999.

بالإضافة إلى دراسات أكاديمية في المجال العلاقات السياسية والدبلوماسية نذكر منها:

رسالة الباحث سهيل جمال بعنوان:" **البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن11هـ/17م**"، وهي مذكرة ماجستير في تاريخ الحديث غير منشورة بالمركز الجامعي بغرداية.

ثم مذكرة عمر بن قايد بعنوان: "**علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية(فرنسا–إسبانيا) من 169هـ–1139هـ/1659م–1727م**"، رسالة ماجستير غير منشورة في تاريخ الحديث بالمركز الجامعي بغرداية.

إضافة إلى رسالة الباحث جلول بن قومار بعنوان: **علاقات المغرب الأقصى السّياسية والدبلوماسية مع دوّل ضفتي غرب المتوسط في عهدي أحمد المنصور السّعدي إسماعيل العلوي(1578م–1603م)/(1672م–1727م) دراسة مقارنة** ، وهي أطروحة دكتوراه العلوم غير منشورة في التاريخ الحديث بجامعة غرداية.

وبعض المقالات لها صلة بالموضوع، عالجت العلاقات بين الدول المغاربية والأوروبية في الفترة الحديثة، ولا تتوقف الدراسات التاريخية عند هذه الكتابات ، فالتاريخ السياسي والدبلوماسي للمغرب الأقصى يحتاج للبحث في تفاصيله، وقد تكون هناك جوانب لم يتم التطرق إليها، وهو ما زادنا تشجيعا على البحث في هذا الموضوع، سعيا منا في الوصول إلى استنتاجات وتحليل للأحداث والوقائع.

– المنهج المتبع في الدراسة:

إلتزمنا في هذه الدراسة بالمنهج التاريخي، والوصفي، و التحليلي، حيث أستخدمنا المنهج الأول في تتبع الوقائع والأوضاع المرافقة للحدث التاريخي، والمنهج الثاني(الوصفي) لوصف الأحداث والتطورات التاريخية، المتعلقة بالعلاقات المغربية الفرنسية ومراحل تطورها وأهم مميزاتها، ثم تحليلها تحليلا علميا، ابتعدنا فيه عن الذاتية وإصدار الحكم الفردي لها، ثم المنهج التحليلي في تفسير نوع العلاقات بين الطرفين، والعوامل المتحكمة والمحركة لتلك العلاقات وتفسيرها علميا وتاريخيا، وذلك بالإعتماد على قراءة دقيقة للمصادر والمراجع المعتمدة في إنجاز هذا البحث.

– الخطّة المعتمدة في الدراسة:

إعتمدنا في دراستنا على خطة تضمنت مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، خصصنا **الفصل الأول** للأوضاع العامة للمغرب الاقصى وفرنسا في النصف الثاني من القرن11هـ/17م، تطرقنا فيه إلى الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى ، وما تميزت به من صراع ونزاع على الحكم بين أمراء البيت السعدي والأحوال الداخلية المضطربة بسبب قيام ثورات تريد تزعم المشهد السياسي والوصول للحكم، وهذا ما أثر على العلاقات الخارجية للبلاد وتردي للوضع الاقتصادي والاجتماعي، ليمهد بظهور قوة جديدة هي الدولة العلوية التي سعت لإعادة الهدوء والقضاء على الفوضى وتوحيد البلاد جغرافياً وسياسيًا.

في الجهة المقابلة درسنا الوضع السياسي لفرنسا خلال الفترة نفسها، خاصة مع انتقال الحكم من الأسرة الفالو في عهد هنري الرابع إلى عائلة البوربون مع لويس الثالث عشر، ثم الصراعات الدينية ومركزية السلطة، الدور المؤثر لشخصية الكاردينال ريشيليو في السياسة الداخلية والخارجية لفرنسا،

وكذا الوزير مزران ودوره في حرب الفروند، ثم تطرقنا إلى عصر لويس الرابع عشر وسياسته الداخلية والخارجية.

أما **الفصل الثاني**: من هذه الدراسة خصصناه للعلاقات المغرب الأقصى وفرنسا في مجالها السياسي السلمي في عهد المولى إسماعيل (1672م-1727م) استعرضنا فيه بدايات العلاقات بين البلدين، ومواضيع التمثيل الدبلوماسي وتبادل السفارات، ودور القناصل والمراسلات في إرساء السلم والمهادنة ، ثم التبادل التجاري ودور المعاهدات والاتفاقيات التجارية والسياسية في تلك العلاقات.

أما **الفصل الثالث** تطرقنا فيه للعلاقات السياسية العدائية بين البلدين، والمحركات التي أدت لمرحلة القطيعة والتصادم والجمود في العلاقات، بدءا بالحملات الفرنسية التي شنها قادة البحرية الفرنسية على السواحل المغربية، وما ترتب عنه تأزم وقطيعة في العلاقات، ثم تنامي الجهاد البحري المغربي في الواجهة البحرية المتوسطية والأطلسية ،وبروز مدن ساحلية تبنّت هذا الفعل، لتكون ردف فعل الفرنسية بالقرصنة البحرية على السفن، والمراكب المغربية وبعض الهجمات على المدن الساحلية(سلا- تطوان- الرباط)، لتُحْدِثَ هذه الأعمال تأزم وحالة جمود وقطيعة دامّت لعدة سنوات بالرغم تبادل السفارات والقناصل بين البلدين، وكذا مشكلة الأسرى بين المغرب وفرنسا وسعي لإيجاد حلول ناجعة، بتوظيف كل الجهود والآليات الافتداء لخلاصهم وتحريرهم.

وختّمنا الدراسة بخاتمة تضمنت أبرز النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها، و ذيّلنا الدراسة بمجموعة من الملاحق متنوعة، اشتملت صور ورسائل، ثم قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث والدراسة ثم قائمة الفهارس.

-عرض نقدي لأهم المصادر والمراجع:

ولإكمال الصورة التاريخية، والوصول إلى نتائج علمية حول موضوع المذكرة، و إبراز التاريخ الدبلوماسي للمغرب الأقصى في الفترة الحديثة، فقد إختلف وتنوعت مصادرها والمادة العلمية لهذه الفترة، منها التاريخ السياسي الاقتصادي، كما وجدت مراجع ومقالات باللغة الأجنبية، ورسائل جامعية.

1- المصادر التاريخية:

1-الوثائق الأرشيفية:

مجموعة من الوثائق التاريخية غير المنشورة لتاريخ المغرب والتي تشمل السلسلة الثانية المخصّصة للدولة العلوية الفلالية، والتي استفدنا منها العلاقات المغربية الخارجية خاصة الجزء الثاني المخصص لفرنسا.

- الوثائق الفرنسية ستة مجلدات تغطي الحقبة ما بين(1661إلى1718م).

- الوثائق الفرنسية ستة مجلدات تغطي الحقبة ما بين(1718 إلى1970م).

- Henry De castry**: sources inédites de l'histoire du Maroc, dynastie filalienne,** deuxieme série, Archives et Bibliothèques de France, tome II, Paris ,1924**.**

-Rouard de Card: **Traités entre la France et le Maroc**, étude historique et juridique, in Pedone ed, Paris1898

- Rouard de Card**: Traités de la France avec les Pays de l'Afrique du Norrd**

عبارة عن معاهدات منشورة أبرمتها فرنسا مع دول المغرب الأربع، خلال القرن 17م و18م، وكان قسم منها خاص بالمغرب الأقصى، وتعالج هذه المعاهدات المبرمة قضايا القرصنة، والأسرى و التجارة بين المغرب الأقصى وفرنسا.

أ) المصادر العربية والأجنبية:

1-نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني:

لأبي محمد عبد السلام بن الطيب القادري، ولد في 10رمضانعام1058هـ الموافق ل29سبتمبر1648م وتوفي سنة1118هـ/1773م،من مصنفي التراجم بالسنوات في القرن11هـ/17م،زودنا ببعض تراجم الشخصيات المغربية المهمة في هذه الفترة، وبعض المعلومات عن تاريخ المغرب.

2- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي:

لعبد الله محمد بن أحمد الأفرني ولد سنة 1669م، وتوفي في سنة1742م بمراكش، أرخ للدولة السعدية خاصة بعد وفاة السلطان أحمد المنصور، ثم الدولة العلوية في فترة المولى إسماعيل، تطرق فيه إلى العلاقات الدبلوماسية والسياسية للمغرب، صححه ونشره هوداس سنة1889م بباريس.

3-روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف:

لمحمد الصغير بن محمد بن عبد الله اليفرني، أديب وفقيه ومؤرخ ولد سنة1080هـ/1660م، وتوفي سنة1155هـ/1742م،يعتبر مصدر في تاريخ الدولة العلوية خاصة ما تعلق ببعض المعاهدات وصور ملوك العلويين الأوائل.

4- المنتزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف:

لمؤلفه مولاي عبد الرحمان ابن زيدان،1878م/1946م، مؤرخ الدولة العلوية له عدة مؤلفات في تاريخ الدولة العلوية، تطرق لعدة جوانب من فترة مولاي إسماعيل، لما يحتويه من رسائل ووثائق للعلاقات الدبلوماسية الخارجية للمولى إسماعيل.

5-تاريخ الضعّيف الرباطي:

لمحمد بن عبد السلام بن احمد الرباطي، 1233هـ-1233هـ/1818-1752م يعتبر كتابه مصدر لتاريخ الدولة العلوية، تحدث على بدايات حكم المولى اسماعيل والصعوبات التب واجهته، من منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء 1988م.

6-رحلة الأسير مويط"Germain Moutte"

ترجمها إلى العربية محمد حجي ومحمد الاخضر، من المصادر التاريخية الهامة التي أرخت لفترة دراستنا، حيث تعرض "مويط" للأسر من طرف القراصنة السّلاويين،سنة1670، ونقل إلى مراكش حيث قضى فيها مدة احد عشر سنة في الأسر، ذكر مويط معلومات واحداث تاريخية، فيما تعلق بالأسرى الأوروبيين وظروف معيشتهم، بالمغرب في عهد المولى الرشيد والمولى إسماعيل.

2- المراجع العربية:

-الإستقصاء لأحبار دول المغرب الأقصى:

لمؤلفه أحمد بن خالد الناصري السلاوي،(1250هـ-1315هـ)، ألف في تاريخ المغرب في عدة فترات زمنية ، وصدر في تسعة اجزاء، منها السابع والثامن والتاسع تؤرخ للدولة العلوية.

-التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم.

لعبد الهادي التازي، ضمن عشر مجلدات، واقتصرنا الاستفادة على المجلد التاسع بجزئه الأول والثاني المخصص لعهد العلويين، الذي تعلق بالعلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب الأقصى وفرنسا، والسفارات المتبادلة بينهما، واستفدنا من المراسلات التي تم بين ملوك فرنسا وسلاطين المغرب.

- العلاقـات السياسـية والدبلوماسـية بـين المغـرب الأقصـى وفرنسـا علـى عهـد مـولاي إسماعيل(1672-1727):

لأحمد الأزمي أستاذ لتاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب و العلوم الإنسانية ظهر المهراز- شعبة التاريخ بفاس، هي دراسة متميزة للعلاقات السياسية الخارجية لسلطان مولاي اسماعيل مع لويس الرابع عشر، فقد استطاع ابراز العلاقات التاريخية التي وافقت الثلث الاخير من القرن 17وهي مرحلة دقيقة على مستوى العلاقات الدولية للبحر المتوسط، وقد استفدنا منه كثيرا خاصة في طبيعة العلاقات والمراحل التي مرت بها سواءا مرحلة التقارب وما تبعه من ارسال للسفارات نحو البلاط الملكي الفرنسي، ومرحلة الصراعات والتناحر بالرغم من تبادل للسفارات، ومرحلة الجمود والقطيعة الدبلوماسية، بعد مشكلة الأسرى وتحريرهم.

المراجع الأجنبية:

1- Leila Maziane: **les captifs européens en terre marocaine, aux 17/18éme siècles**, in cahiers de la méditerranée, n 65, 2002,

– ليلى مزيان: "**الأسرى الأوروبيون على الأراضي المغربية ، في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، في منطقة البحر الأبيض المتوسط**"، مقال في كراسات البحر المتوسط، حيث عالجت ليلى مزيان قضية الأسرى الأوربيون في المغرب خاصة على عهد مولاي إسماعيل، والظروف التي عايشوها، وطرق السبل في افتدائهم.

2- Mohammed El Jetti: **Tétouan, place de rachat des captifs aux XVIe et XVIIe siècles**, in cahiers de la méditerranée, 2013.

– محمد الجيتي: "**تطوان مكان إفتداء الأسرى في القرنين السادس عشر والسابع عشر**" مقال في كراسات البحر المتوسط، 2013"،حيث تطرق المؤلف الى مدينة تطوان كقاعدة بحرية للجهاد البحري للمغاربة، وما مدي أثرت في السياسة الخارجية للمغرب مع لدول الأوروبية، خاصة فرنسا، والظروف الأسرى التي يقضوها بالمغرب، وكيف لعبت شراء وافتدائهم في تطور عادات الاقتصادية للمدينة.

كما إستفدنا من عدة مراجع ودراسات كثيرة سنضعها وفق ترتيبها في قائمة المصادر والمراجع في ذيل الدراسة.

–الصّعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذه الدراسة:

إنَّ أي دراسة أو بحث علمي، لا يكتمل إلا وتعترض الباحث صعوبات ومعوقات، إن كان صاحبها يصبوا إلى نتائج علمية مرضية وموضوعية، فكانت أول الصعوبات في إنجازنا هذه الدراسة هو الإحاطة والإلمام بكل المادة العلمية و استخراجها من مصادرها المختلفة سواء العربية أو الاجنبية، وهذا تطلب منا القراءة المتأنية والدقيقة في استقاء المادة الخبرية للأحداث، ثم قلّة الدراسات المتخصصة باللغة العربية، وبما أننا ندرس العلاقات مع فرنسا، لا بد من كتابات كُتبَّت باللغة الفرنسية بشكل كبير، فقد إعتمدنا عليها في عديد المرات، فاضطررنا إلى ترجمة وتعريب عدة فقرات، وتمحيصها وإعادة قراءة متأنية لها، فأخذ ذلك منا جهداً ووقت كثير، ثم ضيق الوقت والفترة الزمنية المحددة لإنجاز المذكرة، حال دون التطرق إلى جوانب أخرى, لنترك المجال مفتوح أمام الباحثين لمواصلة البحث في الموضوع.

وفي ختام هذه المقدمة، ما عسانا أن نتقدم بجزيل الشكر و عظيم الإمتنان لأستاذنا المشرف الدكتور عمر بن قايد على تفضله وقبوله الإشراف على هذه الدراسة، وتشجيعه لنا من الوهلة الأولى عند إختيارنا لموضوع الرسالة، ولا أنسى أن أتقدم بالشكر والتقديم لكل من ساعدنا ووقف بجانبنا وقدم لنا النصح والإرشاد، وأخيرا فإن أصبنا من شيء في هذه الدراسة فهو من الله وحده وتوفيقه ، وأما إن كان غير ذلك فحسبنا أننا إجتهدنا وحاولنا، أملا أن نستفيد من توجيهات ونصائح أساتذتنا، لجنة المناقشة الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه المذكرة.

والله الموفق والمستعان.

الفصل الأول:

الأوضاع العامة للمغرب الأقصى وفرنسا في النصف الثاني من القرن11هـ/17م

المبحث الأول:

الأوضاع العامة للمغرب الأقصى قبّيل سنة 1672م.

1- الصراع على السلطة وضعف الدولة السعدية.

2- الدور السياسي للقوى الدينية.

3- تردي الوضع الإقتصادي والإجتماعي.

4- ظهور العلويين.

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في فرنسا قبل سنة1672م.

1- إنتقال الحكم من عائلة فالوا إلى أسرة البوربون.

2- الصراعات الدينية ومركزية السلطة.

3-. الوضع الإقتصادي والإجتماعي

المبحث الثالث: عصر لويس الرابع عشر 1661م/1715م

عرف المغرب الاقصى مرحلة جديدة ،بعد سقوط الدولة السعدية، وتولي مكانها العلويون حكم العرش المغربي، فقد تمكن ابناء الشريف بن علي، من توحيد البلاد جغرافيا وسياسيا، بعد حالة الفوضى وعدم الاستقرار الذي شهدته في حكم أبناء أحمد المنصور، وتصارعهم فيما بينهم، فقد بلغت قوة الدولة العلوية في ظل سلطانها المولى إسماعيل(1727-1672م) الذي يعتبر المؤسس الفعلي للدولة، أين تم تحرير معظم الثغور المحتلة من طرف الإسبان، وشهدت المغرب أوج قوتها السياسية والإقتصادية ، بربط علاقات خارجية مع الدول المجاورة، والأوروبية.

أما فيما يخص فرنسا فنجدها قد خرجت من أتون الحروب والصراعات الدينية، التي قضت على كل مكومات الدولة فيها، وأضعفتها محليا ودوليا، لكن مع استتباب الإستقرار والأمن رجعت لدورها المحوري في القارة الأوروبية والمنطقة المتوسطية، بفضل كل من الكاردينال "ريشيليو" و" الوزير مازران"، وسياستهما الحكيمة التي ارجعت مكانة فرنسا الدولية والإقليمية بالمنطقة وفرض منطق سياستها الخارجية في العلاقات مع دول المنطقة بضفتيها الشمالية والجنوبية. واستفاد الملك لويس الرابع عشر من هذه القوة ، حيث عمل جاهدا على جعل فرنسا تتبوأ مكانة عالية وذا أهمية وفرض سلطة اوامره وأراءه على كامل القارة الأوروبية وحتى المنطقة المتوسطية.

وقد تطرقنا في هذا الفصل إلى الظروف العامة التي شهدتها كل دولة على حد، ومنه لا يمكننا التطرق الى العلاقات التي ربطت بين البلدين دون الإحاطة بالأوضاع التي مسّت مختلف جوانب الموضوع وقسمنا الفصل إلى ثلاثة مباحث، في المبحث الأول، الأوضاع العامة للمغرب الأقصى قبل سنة1672، والمبحث الثاني للأوضاع في فرنسا. والثالث للأوضاع الإقتصادية والإجتماعية لفرنسا في الفترة نفسها.

المبحث الأول: الأوضاع العامة للمغرب الأقصى قبيل سنة1672م.

إذا نظرنا إلى طبيعة العوامل التي مهدت للأوضاع المضطربة في المغرب الأقصى بعد وفاة المنصور، نرجع ذلك إلى السياسة المتبعة للسلطان المغربي ،منها جعل أبنائه ولاة على أهم الاقاليم في البلاد، فنتج عنه حالة من عدم الاستقرار في السلطة المركزية فكان منها:

بعد إصابة المنصور[1] بمرض عضال كاد أن يؤدي بحياته، إستشاره أحد وزرائه بولاية العهد لأحد من أبنائه، يتولى بها تسيير شؤون البلاد والرعية، فتم الاجماع على ابنه محمد الشيخ المأمون ،الذي كان والياً على فاس، وقد تمت البيعة له بحضور العلماء والصلحاء وشيوخ القبائل 1579م[2].

بعد تجديد أحمد المنصور البيعة لإبنه محمد الشيخ المأمون سنة 922هـ/1592م بحضور الأعيان واهل الحل والعقد، عمل بعدها إلى توزيع اهم اقاليم المملكة بين ابنائه، حتى لا تتولد وتنشأ في نفوسهم العداوة والكراهية ،فلا تبقى في نفوسهم أحقاد ولا تنطوي قلوبهم على الضغائن[3]،فعمل على تعيين أبا فارس على السوس ومناطقها، بينما عقد لأبي الحسن علي على إقليم مكناسة، وعقد لزيدان على تادلا ومجاورها، لكن هذه الوضعية ستتغير مع ثورة محمد الشيخ المأمون إذ سيخلف المنصور أبا فارس على مراكش، بينما عقد لزيدان على فاس[4].

استمرت هذه الحالة حتى بعد وفاة المنصور، والذي لم يحدد ويقرر بشكل نهائي أمر الخلافة بعده، فكان ذلك سببا في الصراع والنزاع بين الامراء ،ودخولهم في حروب طاحنة وكبيرة، فأدى ذلك لنهاية وسقوط الدولة.

---

(1) أحمد المنصور: رابع سلاطين الدولة السعدية، حكم المغرب بعد معركة وادي المخازن1578م، شهدت فترته ازدهار وقوة في شتى النواحي، وتبوأ المغرب مكانة دولية كبيرة. للمزيد ينظر: عبد الوهاب المنصور: **أعلام المغرب العربي**، ج 5، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب1990، ص ص 228، 229.

(2) محمد الصغير بن الحاج الإفراني: **نزهة الحادي بملوك القرن الحادي** تح وتق عبد اللطيف الشاذلي،ط1،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1998،ص154.

(3) ابو العباس احمد بن خالد الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري،9ج،دار الكتاب، الدار البيضاء،1955،ج6،ص4.

(4) الافراني: المصدر السابق،ص175.

ما إن توفي المنصور دخل المغرب حالة من الفوضى و الاضطرابات، فتنازع أبنائه الثلاثة هم زيدان الذي بايعه أهل فاس، وأبو فارس الذي بويع بمراكش، ومحمد الشيخ المأمون الذي إستولى على فاس بعد مواجهة أخيه زيدان سنة 1015هـ/1607م، اين يلتجئ زيدان الى تلمسان، ويدخل بعدها من مراكش، وهو أخر ملك سعدي احتفظ بسيادة على أجزاء كبير من المغرب[1].

أدى ذلك إلى قيام محمد الشيخ المأمون بدعوة أهل فاس إلى بيعته، ثم إتجه نحو مراكش وسيطر عليها، بجيش يقوده ابنه عبد الله، فاستولى عليها وقتل الكثير من قادتها، وأطلق جنده للسلب والنهب، الأمر الذي أدى بثورة السكان ضده، مفضلين مبايعة زيدان مكانه، لكن وصول نجدة من فاس انقدت عبد الله بن الشيخ، فتمكن من هزيمة عمه زيدان[2].

أولا: تعاقب ابناء زيدان على الحكم:

تعد فترة حكم المولى زيدان (1603-1627م) فترة مضطربة تخللتها فتن وفوضى واضطرابات كانت سببا في ضعف السلطة المركزية، خاصة الصراع القائم مع ابن اخيه عبد الله بن محمد الشيخ، فساهم ذلك في اضعاف جهود بناء دولة قوية ، تواجه الاطماع الخارجية وتحرير الثغور[3]، خاصة مع تسليم محمد الشيخ مدينة العرائش للإسبان سنة1610 فهذه المدينة عمل أحمد المنصور على مماطلة الاسبان لتسليمها إياهم.

بعد وفاة زيدان بويع إبنه عبد الملك، غير أن إخوته أحمد والوليد ثارا عليه، مما أدى إلى حدوث صراع مسلح، انتهى بإنتصار عبد الملك وإستقراره بمراكش[4]، أما أخوه أحمد فقد فرّ إلى إبن عمه محمد زغودة لكنه غدر به وقتله واستولى على القصبة، وأما الوليد فقد حاول أن يستولي على الحكم

---

(1) ابراهيم حركا ت:**السياسة والمجمع في العصر السعدي**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء1985،ص92-93.

(2)Henry De castry : les sources inédites L'histoire du Maroc, l'ère série dynastie saadienne, Archives bibliothèques de Holland, T1, éditeur Ernestle rouxparis1909, p215.

(3) مجهول : **الدولة السعدية التكمدارتية**، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة،ط1، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش 1994،ص104.

(4) ابو العباس احمد بن خالد الناصري: المرجع السابق،ج6،ص 82.

لكنه فشل، فأعيد مرة أخرى إلى مراكش، فاستمال الأعلاج أن يقتلوا أخاه عبد الملك فتّم له ذلك سنة1040هـ/1630م، ليلقى نفس المصير من طرفهم سنة1045هـ/1636م[1].

بعد وفاة الوليد بن زيدان، تمّ إخراج محمد الشيخ الأصغر من السجن، فبايعه أهل مراكش في 15رمضان1045هـ الموافق ل:22فيفري1636م، ورغم طول فترة حكمه فإن سلطته لم تتجاوز مراكش وأعمالها، وقد توفى سنة 1064هـ/1653م[2]، ليتولى أبو العباس أحمد بن محمد(1654-1659م) أمر الحكم الذي يعتبر آخر ملوك السعديين؛ وفي عهده قوي نفوذ اخواله الشبانات الذين أرادوا السيطرة على الملك، الى ان قتلوه سنة 1069هـ/1658م وبايعوا زعيمهم عبد الكريم الشباني(كروم)[3]،وبهذا إنتهت سلالة السعديين وحكامها الذين حكموا المغرب لمدة140 سنة.

دخلت الدولة السعدية في القرن 11هـ/17م مرحلة حاسمة في تاريخها السياسي[4]، فموت أحمد المنصور 1603م أدى بالبلاد إلى مشاكل على مستوى الخلافة، خاصة وأنه لم يحسم هذا الأمر قبل وفاته، فكان الصراع بين أبنائه السمة الأبرز، مما أدى إلى إنقسام المغرب غالى مملكتين الأولى مراكش بويع فيها أبو فارس، وثانية مملكة فاس بويع فيها زيدان، حيث نشب الصراع بين الإخوة حيث بحث كل طرف عن أحلاف فإتصل زيدان بالأتراك المتواجدين بتلمسان، واستنجد أبو فارس بالإسبان وسلّم لهم العرائش سنة1610م، وبذلك تجاوز مبدأ الجهاد ضد التدخل الاجنبي[5].

ثانيا: القوى الدينية ودورها السياسي:

عرف المغرب ظهور الحركات الصوفية والزوايا الدينية، التي كان لها الأثر البالغ على الأوضاع السياسية للمغرب الأقصى، حيث إنتشر تعظيم الصلحاء وازداد عددهم في المدن والبوادي، وقوي نفوذهم ، وخشيّت السلطة الحاكمة، فراحت تكسب ودهم وتتقرب منهم، وتأخذ منهم البركة

---

[1] ابو العباس احمد بن خالد الناصري: المرجع السابق،ج6،ص83.

[2] نفسه.ص83.

[3] Ernest Mercier: **Histoire de L'Afrique septentrionale depuis les temps recule j'uque la conquête français**, 4éme part, editionElibon, paris2005, p257.

[4] Ibid, p258.

[5] مجهول: المصدر السابق، ص104- 105..

والشّرعية، وتدخلوا في القضايا السياسية عن طريق مراقبة السلطة وتوجيهها أو تعويضها احياناً في حالة عجزها[1].

فظهرت حركات ثورية صوفية، قادها رجال دين صوفيون، كالعياشي وابي محلي ويحي الحاجي، وابي حسون السملالي ، وأغلب هذه الحركات كانت بداية انطلاقها منطقة "سوس" والنواحي الجنوبية[2]، فكانت الحركة العياشية 1604م/1641م، بزعامة محمد بن أحمد العياشي، الذي قاد هذه الحركة الجهادية ضد التواجد الإيبيري بالمغرب الأقصى.

وقد إمتد نفوذها على كل المناطق الغربية للبلاد[3]، بهدف تحرير الثغور المحتلة من طرف الإسبان والبرتغاليين، نتيجة الصراع وغياب سلطة مركزية، وما يحسب للعياشي أنه لم يدخل في صراع مع زيدان حاكم مراكش و بعده ابنيه عبد الله والوليد، فقد كان يبعث لزيدان قسم من الغنيمة عربون الولاء له، لكن سرعان ما تعرضت هذه الحركة لهجمات المولى الرشيد في اطار الحملات التي قادها في مواجهة الزوايا للسيطرة على البلاد[4].

ثم الزاوية الدلائية بزعامة "محمد الحاج بن محمد بن أبي بكر الدلائي[5]، الذي قاد جيش الدلاء للسيطرة على الوضع، أين توافدت اليه القبائل تؤيده و تقدم له الزكاة والاعشار، فتزايد عدد أتباعه والجنود[6]،وقد ربطت علاقة قوية بين العياشي والدلائيين ، فكان يعطي بعض من الغنائم الحرب لهم، فلو لا الدلائيون ما إستطاع العياشي القضاء على الفتن والاضطرابات، لكن هذا الوضع سرعان ما

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عيشون الشراط: **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، تحقيق زهراء النظام،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،1997،ص ص26-27.

(2) ابراهيم حركات : المرجع السابق،ص105.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن احمد المالكي الزياني المعروف بالعياشي، أصله من ناحية سلا ولد سنة 980هـ/1573م، نذر نفسة لجهاد النصارى في الثغور المغربية المحتلة، ، قتل سنة1641،للمزيد يُنظَر: ابراهيم حركات: **جمهورية ابي رقراق**، في مجلة دعوة الحق المغربية، تصدرها وزارة عموم الأوقاف، المغرب، جانفي1965،عدد03،ص85.

(4) عبد اللطيف الشاذلي: **الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن17م**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب1982، ص 171.

(5) ولد محمد الحاج الدلائي في مدينة الدلاء عام997هـ/1588م، قاد الحركة الدلائية ضد السعديين الذين رأى فيهم انهم لم يعد باستطاعتهم حكم المغرب الاقصى، للمزيد يُنظر: محمد بن الطب القادري: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح محمد حجي،ط1،3ج،دار الغرب الإسلامي،بيروت1986،ج02،ص196.

(6) محمد حجي : **الدور السياسي للزاوية الدلائية**، مقال في مجلة دعوة الحق المغربية، العدد4، فيفري1965،ص94.

تغـــير إلى حالـــة التـــوتر في العلاقـــات ســـنة1050هـ/1641م، ليقتـــل في 9محـــرم 1050هـ/22أبريل1641م [1].

وتخلّل ذلك ثورة الخضر غيلان في الشمال المغربي[2]، على الدلائيين الذي انقض على القصر الكبير واستولى عليها، وقتل فيها علي بن احمد الذي اغتال العياشي، واخذ يوسع نفوذه ويغير على المدن والقبائل الخاضعة للدلائيين، فأقلق بال محمد الحاج الدلائيين الذي أخذ يتهيأ لملاقاته في معركة حاسمة، وفي رمضان عام 1070هـ/1660م خرج الحاج محمد الدلائي على جيس قوامه ثمانون ألف مقاتل، وبمكان يسمى "وادي بوحريرة" دارت بينهما معركة كبيرة كانت الخسارة فيها للدلائيين[3].

نافس الدلائيون أبناء الشريف بن علي (جد العلويين) [4] على المناطق الشرقية ، وجرّت بينهم وقائع حربية عديدة، إلى ان جاء السلطان الرشيد فتقوى امره وسيطر على المغرب الشرقي، ومدينتي فاس ومكناسة، وفي محاولة من محمد الحاج الدلائي لإنقاذ مناطق نفوذه، فخرج بجيش من البربر لمقابلة الرشيد، والتقى الجمعان في معركتين، سهل "بطن الرمان" و نهر بومزرورة، وكانت فاصلة بين العلويين والدلائيين وتم القضاء على الزاوية الدلائية[5].

في خضم هذه الأحداث والصراعات، ظهرت الحركة العلوية، التي أستقر "المولى الحسن"، الجد الأول للعلـويين بسجلماسـة، وقـد حظـي الاشـراف العلويـون بعنايـة السـلطات الحاكمـة كـالمرنيين

---

(1) محمد حجي: **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**،ط1، الطبعة الوطنية، الرباط،1964،ص155-157.

(2) الخضر غيلان من بني جرفط القبيلة العربية، تسكن بين العرائش وتطوان، كان غلان من اكبر مساعدي العياشي، وظل يعاقب الدلائيين وفي عام1653 سيطر على القصر الكبير و استولى عليها، وبدأ يوسع نفوذه على المدن والقبائل الخاضعة للدلائيين. للمزيد يُنظَرُ: محمد حجي: نفسه، ص237.

(3) نفسه، ط1، ص217.

(4)هو مولاي الشريف بن علي الشريف (1589م – 1659م), وهو جد الأسرة العلوية التي ملكت المغرب من بعده, كان وجيها وسيدا في قومه, بايعه أهل سجلماسة عام 1041 هـ, اعتقله أبو حسون السملالي, ولما تخلص من أسره وعاد إلى سجلماسة وجد ابنه محمد قام بالأمر من بعده, فتخلى له عن الملك, وقضى بقية عمره في العبادة حتى مات عام 1069 هـ بسجلماسة .له من الأولاد ، مولاي الرشيد ومولاي إسماعيل ومولاي الحران. للمزيد يُنظَرُ: محمد بن الطب القادري، المصدر السابق، ج02، ص88.

(5) محمد حجي: المرجع السابق، ط1، ص226-229.

والوطاسيين، وتمتعوا بسمعة وهيبة كبيرة لتعم المغرب كله، وبمرور الزمن تمكن العلويون من بناء انفسهم، واشتد امرهم خاصة بعد ضعف السعديين[1].

إنّ الدارس لتاريخ المغرب الأقصى، يلقى تشابهاً في نشأة وتكوين الدولتين(السعدية والعلوية)، خاصة في الأصل الشريف الذي نادا به كل طرف ، فالسعديون قاموا بفكرة الجهاد ضد الإيبريين المحتلين للثغور، أما العلويون ظهورا ضد القوى والزعمات المحلية الصوفية، وبهدف حماية والدفاع عن الطرق التجارية وحماية مصالحها التجارية داخل القصور.

في ظل ظروف التي عاشها المغرب الأقصى خاصة بعد وفاة احمد المنصورسنة1603م، وما أعقبه من صراع ونزاع بين أبنائه على السلطة والحكم، استغلت بعض القوى هذا الوضع المضطرب لإقرار سلطتها على التراب المغرب، فكانت الحركة العلوية التي ظهرت بالجنوب الشرقي للمغرب، التي استطاعت ان تفرض وجودها السياسي ، وتعوض السعديين في الحكم والسلطة[2].

ثالثا: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية:

في أواخر حكم المنصور، انتشر بالمغرب مرض الطاعون، حيث قضى على كثير من السكان، إضافة إلى الغزو الأجنبي خاصة الإيبيري للسواحل والموانئ المغربية فقد ألحق بها أضرارا كبيرة، واحدث تدهورا كبيرا على مستوى المعيشي للسكان، خاصة التربية الحيوانية مصدر رزق العديد منهم[3].

أدت هذه الوضعية إلى ندرة في المواد الاستهلاكية، وارتفاع في الاسعار، وبعد وفاة المنصور تدهورت الحالة الاقتصادية جراء الحروب الاهلية بين أبنائه، وتحول طرق التجارة الصحراوية الإفريقية، وقلة تدفق الذهب من السودان الغربي، وقد كان لمقاومة السودانيين ضد المغاربة الأثر الكبير في تناقص القوافل الصحراوية ، فكانت تأتي قافلة واحدة فقط كل ثلاث سنوات[4].

---

(1) عبد الكريم كريّم: **المغرب في عهد الدولة السعديّة**، ط3، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، 1978، ص331.

(2) نفسه، ص 34.

(3)محمود علي عامر ومحمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي** الحديث(المغرب الأقصى، ليبيا) منشورات دار دمشق، دمشق1999، ص70.

(4).نفسه، ص72.

أدت الفتن والحروب الأهلية بداية القرن11هـ/17م على حصد العديد من السكان، بسبب مشكلة انتقال السلطة بعد وفاة المنصور ، فأبنائه تصارعوا فيما بينهم، حيث أحدثوا عدم استقرار سياسي وأمني، ضف على ذلك الكوارث الطبيعية وانتشار الأمراض والأوبئة القاتلة، وعودة الطاعون القاتل إلى الفتك بالسكان[1].

نسجل أن الانتفاضات قد اثرت تأثيرا بالغا في الأوضاع الإقتصادية، بالإضافة إلى الوضع السياسي المضطرب، فمنذ سنة1005هـ/1597م عرف المغرب سلسلة من المجاعات والأوبئة بدءا من عام 1611م/1614م،والطاعون الذي أصاب المغرب سنوات1621م/1623م وتجدر الإشارة أن هذا الوباء قد فتك بالمنصور سنة1012هـ/1603م،وقد أثر على المستوى الديمغرافي ،كما تجلت عواقبه في القطاعات الإنتاجية الأخرى[2].

كما شهدت هذه الفترة توافد عدد كبير من الموريسكيين على المغرب، فكان عددهم قرابه ستين إلى ثمانين ألف في سنة1018هـ/1609م،إضافة إلى الأسرى المسحيين[3]،وعلى الرغم من هذه الحالة إلا أنه لم يمنع من ظهور حركة ثقافية وفكرية وأدبية، تمثلت ما قام به أبناء المنصور من جمع للكتب وتحبيسها، حيث أصبح التعليم في القرن16-17م منتشر في شتى جهات البلاد[4].

رابعا: ظهور العلويين:

1- نسب الاسرة العلوية:

يعود نسب العلويين الى سلالة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأول من ادعى الاحقية بالحكم والخلافة هو محمد الشريف بن علي الشريف السجلماسي[5]. ويُعرفون أيضاً بالشرفاء

---

[1] Daniel Rivet:**Histoire du Maroc De Moulay Idrîs à Mohammed VI,** Saint-Amand-Montrond ,Librairie Arthème Fayard, France2012, p193.

[2] محمد القبلي: **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط 2011،ص391.

[3] إبراهيم حركات: المرجع السابق، ج2، ص365

[4] نفسه، ص401.

[5] أبو العباس بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص ص، 03، 04، 05.ويُنظرُ كذلك محمد الضّعيف الرباطي: **تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السّعيدة)** ، تح و تع و تق أحمد العماري،ط1،دار المأثورات الرباط1986، ص94.ويُنظر عن نسب هذه الأسرة كذلك، محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق،ج3،ص 1057.

السجلماسيين، سكنوا تافيلالت، وجنوب جبال الأطلس المغربي، ظل نشاطهم في العهد الوطاسي مقتصراً على واحة تافيلالت حتى فترة الفوضى بعد وفاة أحمد المنصور، حيث كانت واحتهم مطمعاً للدلائيين والسملاليين، ولإبعاد هذا الخطر بايع أهلها مولاي علي الشريف أميراً على المنطقة[1]. كان المغرب حينها مقسماً بين الدلائيين في الأطلس المتوسط ومدينة فاس، وابي حسون السملالي المتمركز بإقليم السوس في الجنوب، والخضر غيلان في الشمال، أما السعديون و الشابانات في مراكش وضواحيها[2].

2- بدايات ظهور العلويين:

أدى الصراع بين الدلائيين والسملاليين لسيطرة الأخير على تافيلالت، وقيام ابي حسون باعتقال المولى الشريف وإيداعه السجن[3]،فقام ابنه" مولاي محمد" بإنقاذه وتنازل له على الإمارة حيث بويع بالخلافة سنة1050هـ/1640م، كان هذا اعلان لقيام دولة العلويين الشرفاء[4].

لما تمت البيعة للمولى محمد بن الشريف قام بطرد السملاليين من سجلماسة، فاستولى على درعة، ثم اصطدم بقوات ابي عبد الله الحاج الدلائي في سنة 1056هـ/1646م في موقعة (القارعة) التي انتهت بهزيمة جيش محمد الشريف[5]، فتوجه ناحية وجدة وتلمسان في سنة1059هـ/1650م[6].

في سنة 1096هـ/1659م توفي مولاي الشريف بن علي، فخرج مولاي الرشيد عن بيعة أخيه محمد بن الشريف، وغادر تافيلالت، وبدأ يجوب في المدن والأقطار المغربية والقبائل في الجنوب و

---

(1) محمود علي عامر ومحمد خير فارس: المرجع السابق، ص 78.

(2) ارنمونت : ضمن المؤلف الجماعي، **تاريخ افريقيا العام**،10ج،ط2، بقلم محمد الفاسي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت1990،ج3 ، ص 241.

(3) أبو العباس بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص 13- 15.

(4) الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ص376.و يُنظر كذلك شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)**، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1977، ص78. ويُنظر محمد الطيب القادري: المصدر السابق، ص 376.

(5) أبو العباس بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص 16.

(6) الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ص 19.

الوسط ،حيث سار إلى الزاوية الدلائية، ثم توجه إلى فاس و تازا ، ثم الى مكناسة[1]، إلى أن وصل به المقام إلى دار ابن المشعل، فاستولى على امواله، ثم دعا لنفسه أعراب الشرق، بين الحدود المغربية الجزائرية، فنهض لقتال اخيه فالتقى الجمعان في معركة قتل فيها "مولاي محمد" يوم الجمعة09 محرم1075هـ/25 جويلية1664م[2].

3- الدولة العلوية في عهد المولى الرشيد 1075-1082هـ/1664-1672م:

بعد أن توفي محمد بن الشريف خلفه أخوه مولاي الرشيد وضمّ إليه جند أخيه[3] ، ثم قصد سجلماسة التي كان زعيمها ابن اخيه محمد الصغير، وحاصر فاس عام 1076هـ/1665م فبايعه أهلها فأكرمهم بجزيل العطاء نظير بيعتهم له، ثم غزا احواز مكناسة، وتمكن من الدلائيين عام 1079هـ/1668م،ثم توجه إلى مراكش وسيطر عليها سنة 1081هـ، وتوجه الى بلاد السوس وقضى على ما تبقى من نفوذ السملاليين وبذلك حقق وحدة المغرب السياسية بخضوع له معظم بلاد المغرب[4].

نظم الرشيد جيشه فكان يتألف من قبائل الشراقة[5]، ومن أهل الريف العرب والبربر اضافة إلى الأسرى المسحيين، الدين استعملهم في المدفعية فبلغ جيشه ثمانية آلاف(8000) فارس واثنين وثلاثين(32000) من المشاة. لم يقف عند النشاط الحربي فقد قام بعد انجازات عمرانية منها انشاءه لمدرسة الصفار بفاس وبناء قنطرة نهر سبو وتجديد قنطرة واد الرصيف بفاس، وضرب العملة باسمه، واهتم بالحركة العلمية والادبية بحضوره المجالس العلم بالقرويين وانتعشت الحركة الاقتصادية والاجتماعية في عهده[6].

---

(1) ابو العباس بن خالد الناصري: المرجع السابق،ص30.

(2) محمد بن الطيب القادري: المصدر السابق، ج02، ص 169.

(3) مولاي الرشيد بن الشريف بن علي الشريف ولد عام 1040هـ/1630م يعتبر مولاي رشيد بن علي الشريف المؤسس الحقيقي لدولة الأشراف العلويين، تميز بالذكاء وبُعْدُ النَظّرِ، كان محبا للعلم ومجالسة العلماء شهدت فترة حكمه وحدة ورخاء وازدهار المغرب، بويع بالعرش عام 1075هـ/1664م.للمزيد يُنظر عبد الرحمان بن زيدان: **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، المطبعة الاقتصادية بالرباط، 1937،ص ص 11-13.

(4) الأفراني: المصدر السابق، ص 304.

(5) الشراقة لفظ أطلق على عرب وادي المغرب الشرقي للمزيد يُنْظَر الناصري: المرجع السابق،ج07،ص 42.

(6) شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص 213.

توفي المولى الرشيد على إثر حادث أصيب به بجرح عميق سنة1082هـ/1672م، أين اعترضه عصن حاد ،وهو في جولة في وسط بستانه فتوفي من جرائه ،ودفن بالقصبة بمراكش ،ليُنقل بعد ذلك إلى ضريح الشيخ ابي الحسن على بفاس ليخلفه أخوه المولى اسماعيل على العرش[1].

4- عهد المولى اسماعيل بن الشريف (1139-1082هـ/1672-1727م):

هو المولى إسماعيل بن محمد الشريف العلوي، ثالث مؤسسي الدولة العلوية، ولد سنة 1056هـ/1646م بسوس، ومنهم من يرجع ولادته بتافيلالت[2]، وذهب المؤرخ الضعّيف أنّه ولد عام القاعة وقد فرح بولادته أبوه أشد الفرح لأنه رزق به على حين كَبُرَ سمّاه إسماعيل[3]. ولي زمن أخيه على منطقة مكناسة، عُرِفَ بتدينه وتقريبه للعلماء والصلحاء. لما توفي مولاي الرشيد سنة 1672م بويع المولى اسماعيل بحضور الصلحاء واعيان المغرب وهو لم يتجاوز عمره ستاً وعشرين سنة[4].

وقد وصفه محمد الضعيف الرباط بقوله:<< **أدم اللون، أكحل العينين، أجعد الشعر، معتدل القد، ليس بالطويل، أشيب كأن لحيته من بياضها قطعة ثلج، سميح الوجه، كريم اللقاء، حسن العفو، حليما متواضعا في ذات الله تعالى، مكرما للصلحاء، مؤثرا لهم، مرفعا للعلماء مقربا لهم، اجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه، فصيح اللسان، ذكرا للتواريخ و أيام الناس، نافذ الرأي ذو حزم وسياسة وشجاعة**>>[5].

---

(1) شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص 214.وللمزيد ينظر الملحق رقم 04.

(2) عبد الرحمان بن زيدان: المرجع السابق،ص29.

(3) معركة وقعت بين مولاي الشريف وأهل زاوية الدلاء سنة1056هـ/1646م، انهزم فيها المولى محمد واقتحم الدلائيون سجلماسة، وتم تقسيم مناطق النفوذ، وأنَّ ما يلي الصحراء من نفوذ المولى محمد، والشمال للدلائيين. يُنظر محمد الضعيّف الرباطي: المصدر السابق،ص09.

(4) عبد الرحمان بن زيدان: **المنتزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**، تق وتح عبد الهادي التازي، ط1، مطبعة إديال، الدار البيضاء، المغرب 1993،ص 61.

(5) الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ص 99.

5- جهوده في بناء الدولة:

شهد المغرب صراعات ونزاعات بعد وفاة أحمد المنصور، حيث قام أبنائه في الإقتتال فيما بينهم فأدى بالبلاد إلى الفوضى وعدم الإستقرار، الأمر الذي عجل بالتدخل الأجنبي، و كذا ظهور زعمات دينية وصوفية سعت بالسيطرة على البلاد مستغلة الفراغ السياسي ،وغياب سلطة مركزية في الحكم، ومع بروز الدولة العلوية واعتلاء المولى اسماعيل العرش 1083هـ/1672م عمد إلى تقوية وتوطيد أركان الدولة والسلطة المركزية التي غابت من قبل.

إثر تولى مولى إسماعيل العرش، قامت ضده ثورات محلية تنازعه في الملك ، فكانت ثورة أهل فاس سنة1083هـ/1672م كان سبب هذا التمرد قرار الذي اتخذه باستبدال فاس بمكناسة عاصمة لملكه[1]،وثورة الخضر غيلان الذي كان أميرا للبحر غلب نشاطه البحري ضد السفن المسيحية الأوروبية، وقد ربط علاقات قوية مع حكام الجزائر وتحالف معهم، حيث واجه المولى اسماعيل وزاحمه في ملكه ، لكن هذا الاخير قضى عليه بكل قوة وحزم وتمكن من قتله في 20 جمادى الثانية 1084هـ/1673م وسيطر على الجزء الشمالي من المغرب[2].

وكانت ثورة الصحراء التي قامت على يد الأمير الحران أخ السلطان ،واستطاع مولاي إسماعيل أن يقضي على هذه الثورة ويعفو عن أخيه الحران، بعد ان أعطاه ما يكفل له العيش في الصحراء، لكن الحران ثارا عليه من جديد رفقة اخويه هشام وأحمد، فوقعت خرب بينهما خسر فيها مولى اسماعيل عدداً كبيراً من عساكره[3].

عين مولاي إسماعيل ابنه محمد العالم واليا على إقليم السوس جنوب المغرب، وزوده بألف فارس، غير أنّ محمد العالم طمع في الحكم، وزحف بجيش على مراكش وحاصرها في سنة

---

(1) الحاج ساسيوي الفيلالي: " **ثورات المدن في المغرب الأقصى لحديث مدينة فاس في عهد السلطان المولى إسماعيل(1727-1672)**"، في دورية كان التاريخية، عدد 17، سبتمبر 2012م،62.

(2) يحي جلال: "**المولى إسماعيل وتحرير الثغور المغرب**"، في مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، بغداد، عدد3،ص 13.

(3) ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج3،ص39.

1114هـ/1702م ،وأَعْمل فيها النهب والقتل، وفي سنة 1116هـ/1704م تمكن السلطان من هزيمته والقبض عليه وقطع يده ورجله[1].

كل هذا ما كان ليتحقق لولا قوة عسكرية كبيرة وقوية ، التي اعتمد عليها المولى اسماعيل في إخماد هذه الثورات المحلية، فكان جيش عبيد البخاري القوة العسكرية[2]، التي عملت على توحيد أقاليم البلاد، ورد الأخطار الخارجية، بجيش عبيد البخاري الذي يتكون من العبيد الذين جلبوا من السودان، و المتواجدين في المدن والبوادي ، وقد لعبوا دور الانكشارية في الجيش التركي[3].

بدأ المولى اسماعيل حياته واليا على مكناس في عهد أخيه المولى الرشيد ، وعند توليه العرش جعلها عاصمة ومقراً لملكه وبناها من جديد، لموقعها الاستراتيجي بين الشمال والجنوب المغربي[4]، وقد ساد الأمن و الطمأنينة وقوي النشاط الاقتصادي، ونهضت الثقافة وبنيت المدارس وعادت الزوايا لنشر العلم[5].

تميز حكم المولى اسماعيل الذي حكم المغرب مدة سبعا وخمسين سنة بالقوة والعظمة، وإحكامه بقبضة حديدية ضد كل معارضيه على العرش، وحين قرب اجله لم يولي الحكم لأحد من ابنائه بالحكم بعده ، وقد توفي المولى اسماعيل يوم1139هـ/ 1727م ودفن بضريح الشّيخ المجذوب في مدينة مكناسة[6].

---

(1) ابو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق،ج7، ص ص 91-92.

(2) سمي بهذا الاسم نسبة ليمين الطاعة الذي يؤديه الجيش على كتاب الامام البخاري، وصل عدده في البداية حوالي 2000من جند الزنوج. يُنْظَر :عبد العزيز بنعبد الله: **تاريخ المغرب(العصر الحديث والمعاصر)**،2ج نشر وتوزيع مكتبة السلام الدار البيضاء، مكتبة المعارف، الرباط، ج2،ص11.

(3) Ernest Fallot:**la solution française de la question du Maroc**, Librairie Ch. Delagrave, paris1904, p76.

(4) ابو القاسم الزياني: **الترجمان المعرب في دول المشرق والمغرب**، مطبعة الجمهورية، باريس 1986، ص 15.

(5) عبد الجواد السقاط: **من تاريخ الحركة الثقافية في عهد المولى إسماعيل**، في مجلة دعوة الحق، الرباط1986،عدد 258، ص ص 42-49.

(6) ابو العباس احمد بن خالد الناصري: المرجع السابق،ج7 ص 100.

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في فرنسا قبل 1672م

أولا: إنتقال الحكم من عائلة فالوا (Valois) إلى أسرة البوربون(Bourbon).

إتسمت الأوضاع السياسية لفرنسا قبل إعتلاء أسرة البوربون بالتوتر والصراع، بسبب الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت، أين كانت مذبحة ليلة القديس بار ثلمي يوم 24أوت 1572م التي راح ضحيتها قرابة 20الى 30 الف قتيل حسب المصادر الأوروبية ،والتي استمرت طيلة 3ايام[1].

بعد إغتيال الملك الثالث من بعده في 01أوت1589م تولى بعده هنري الرابع أمور الحكم، فانتقل الحكم من أسرة فالوا إلى عائلة البوربون[2]. ليواجهة هنري الرابع صعوبات كونه بروتستانتيا، ومحروما من الكنيسة، وبالتالي عارضته معظم البلاد الكاثوليكية والإتحاد الكاثوليكي، بزعامة مَابِينْ، وأسرة كيز[3].

سعى إهتمام هنري الرابع على إنهاء الشقاق الديني والصراع المسلح، بين الكاثوليك والبروتستانت، أين دعا إلى سياسة التسامح الديني ،وفتح أبواب الحوار مع زعماء البروتستانت وحقهم في حرية العبادة، وبعد مفاوضات مع زعماء البروتستانت، صدر مرسوم نانت في 13 أبريل 1598،أنهى الصراع الطويل معهم في فرنسا، وبذلك حصلوا على حقوقهم المدنية والسياسية ، والحماية القانونية[4].

بعد أن إستقرت الأوضاع وإنتهاء الحروب الدينية التي أنهكت كاهل البلاد، عمل هنري الرابع بإصلاحات في شتى المجالات، حيت اهتم بتنظيم الشؤون الداخلية للبلاد، عن طريق انتعاش الزراعة و الصناعة والتجارة[5]، وذلك بمساعدة مجموعة من الاداريين، منهم وزيره "سولي" البروتستانتي، الذي

---

(1) عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل ياغي: **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، ط3،دار المريخ، الرياض 165،1993.

(2) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار: **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا**، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت 1971، ص 185.

(3) عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل ياغي: المرجع السابق،ص173.

(4) أحمدميلاد المقرحي: **تاريخ اوروبا الحديث(1848–1453)**،منشورات جامعةقاريونس،بنغازي1996،ص108.

(5)يحي جلال: **أوربا في العصور الحديثة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الاسكندرية1981،ص475.

اهتم بالإصلاحات المالية، بجمع الضرائب من الاغنياء، دون أن يثقل كاهل الشعب بها، وساعد على تقدم التجارة وكذا الزراعة التي رأى فيها المورد الاساسي للبلاد[1].

في 10 ماي 1610م اغتال كاثوليكي متعصب هنري الرابع، لاعتقاده انه خان الكاثوليكيين وتعاطف مع البروتستانت، وتسامح معهم، فآل العرش لوريثه لويس الثالث عشر(1610-1643م)،إلا أنه كان قاصرا في السن لتتولى وصايته أمه الإيطالية ماري مديتشي[2].

انتهجت الأم سياسة خارجية جديدة مخالفة لسياسة زوجها، أين تقربت من إسبانيا وتعاونت معها ،وقربت إلى محيطها مستشارين ومعاونين من ايطاليا، فادت هذه السياسة لاستياء كبار الملاك، والنبلاء ولتقلص نفوذهم، وامتيازاتهم، فأدى إلى اضطراب الأوضاع الداخلية لفرنسا، بظهور نزاعات وصراعات معارضة للحكم من قبل الطبقة الارستقراطية والبروتستانتية[3].

ثانيا: الصراعات الدينية ومركزية السلطة

على إثر مرسوم نانت سنة 1598م الذي سمح للهيجونت الحرية السياسية والمدنية، فأخذوا يتمادون في معارضتهم ومعاداتهم للسلطة، حيث ثاروا بسبب النزاع القائم بين الملك لويس13،وبين أمه وأعوانها، فقام الهيجونوت[4]ينفصلون بمدنهم في الجنوب الفرنسي، وأسسوا حكومات على نمط حكومة جنيف الجمهورية الكالفينية، وبذلك كونوا دولة داخل دولة مما دفع بلويس الثالث عشر لإعلان الحرب عليهم، إستمرت إلى سنة1622م ،عندها عقد معهم الملك لويس الثالث عشر معاهدة مونبيلييه، كان بموجبها منع الهيجونوت بعقد المجالس المحلية، والسيطرة على بعض مدنهم المحصنة[5].

---

(1) عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل ياغي: المرجع السابق،ص175.

(2) جفري براون: **تاريخ اوروبا الحديث**، ترجمة علي المرزوقي، ا لأهلية للنشر والتوزيع، بيروت2006،ص285.

(3) زينب عصمت راشد: **تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن 16 الى نهاية القرن 18**،ج1،دار الفكر العربي، القاهرة 1986،ص179.

(4) الهيجونوت: أو بالفرنسية **Huguenot** لقب أطلق على البروتستانت في فرنسا، من أتباع كالفن وهي مشتقة من الألمانية **Eid penassen**وتعني الرفاق المتحالفين أو المتعاهدين وهم الذين طالبوا بعقد تحالف بين جنيف، ومقاطعة بيرن السورية على أساس اعتناق سكان المدينتين المذهب البروتستانتي، للمزيد يُنظر: ميلا احمد المقرحي: المرجع السابق،ص105.

(5) عمر عبد العزيز عمر: **دراسات في التاريخ الأوروبي والامريكي الحديث**، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية1992،ص258.

أُطلق على هذه الفترة من حكم لويس الثالث عشر بفترة حكم الوزيرين كونسيني ، وعدوه دي لوين الذي أيده الملك ضد كونسيني وأمه ماري مديشتي، وبعد أن توفي دي لوين بالحمى بدأ عهد جديد سمي بعهد ريشيليو، الذي استطاع أن يقبض على زمام الأمور السياسية في فرنسا لمدة ثمانية عشر سنة، ورفضه اقتسام السلطة مع الهيجونوت[1].

كانت معارضة النبلاء والأرستقراطية ما تزال مصدرا للفوضى والمتاعب الداخلية في فرنسا، فهؤلاء كانوا يهدفون إلى المحافظة على ما كان لهم من نفوذ، وامتيازات وراثية منذ العصور الوسطى، وتلك التي حصلوا عليها في عهد هنري الرابع، فكان لابد من وجود رجل يساعد الملك في تسيير شؤون البلاد. فلويس الثالث عشر يدرك أنه يفتقر إلى صحة الجسم، وقوة الذهن اللتان تتطلبهما هذه التحديات، "فقد كان يشكو من مرض السل والتهاب الأمعاء"[2]، فتولى الوزارة الكاردينال ريشيليو، وهو في التاسعة والثلاثين من عمره.

1- الكاردينال ريشيليو Cardinal De Richelieu (1624-1642م)

لم يكن **ريشيليو**[3] وزيرا عاديا، وإنما صاحب نظرية متكاملة في الحكم والإدارة، فقد كان إدارياً قديراً، يعشق مظاهر العظمة والثياب الفاخرة، بذلك كان رجلا كبيرا في السياسة، كرس حياته لعظمة بلاده .فقد آمن ريشيليو بأن أول واجباته هو تحقيق قوة وعظمة فرنسا، وجعل الملكية الفرنسية قوة مطلقة في الداخل ومهيمنة في الخارج[4].

---

(1) عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل ياغي: المرجع السابق،ص177.

(2) ميلا احمد المقرحي: المرجع السابق، ص 186.

(3) ريشيليو: أو الكاردينال ريشيليو (1585 - 1642م) رجل دولة ،و دين ونبيل فرنسي، كان وزير الملك الفرنسي لويس 13،أصبح كاردينالا سنة 1622م، ثم أصبح سيد الوزراء للويس 13 سنة 1622م، امتاز بالحنكة السياسية، وبتأكيد سلطة الملك والضرب على أيدي النبلاء ،وعمل على ترسيم سياسته في زيادة التفوق الفرنسي على الساحة الدولية الأوروبية،ومركزية السلطة المطلقة ينظر:

Gabrie Hanotaux:**Histoire du Cardinal De Richelieu**, La Jeunesse De Richelieu(1585-1614) LA France EN1614, librairie Plon L'histoire nationale, paris1893,p241.

(4) عبد المجيد نعيمي: **أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة و المعاصرة (1848-1453)**، دار النهضة العربية، بيروت1983، ص124.

وإذا كان القرن10هـ/16م هو عصر إسبانيا، فإن القرن11هـ/17م هو عصر التفوق الفرنسي، ومن أجل الوصول إلى اهدافه بجعل فرنسا تتفوق دوليا ركز على مبدأ مركزية السلطة المطلقة في الحكم، لتحقيق وحدة وعظمة فرنسا، ومن ثَم الحد من إمتيازات ونفوذ الأرستقراطيين، والنبلاء ، الذين نافسوا سلطة الملك [1]،وتآمروا على ريشيليو، أين وَجدوا لهم حلفاء من بين أعضاء القصر الملكي، فكل هذا يعرقل في تحقيق وحدة البلاد وقوة الدولة[2].

لهذا قرر محاربتهم، والحد من نفوذهم، وقد نجح في ذلك لإيمانه الكبير بفكرة الملكية المطلقة، وتأييد الملك له، كما اعتقد ريشيليو أن ما بقي من البروتستانت من قوة عسكرية يعد حاجز في طريق إقامة الملكية المطلقة، فمرسوم نانت سنة 1598 الذي منح البروتستانت استقلالاً سياسياً ،وعسكرياً معيناً[3]، لذا قرر محاصرة مركزهم في لاروشيل ومونتوبان في سنة 1036هـ/1627م.

كان أكبر مشكل واجه ريشيليو هو النفوذ السياسي للهيجونوت، خاصة وأنَّ مرسوم نانت منحهم امتيازات في ذلك، فأصبحت قوة لا يستهان بها ،ودخلت في صراع مع حكومة لويس الثالث عشر، و نجح ريشيليو في ترسيم وتنفيذ خطته السياسية لتحقيق التفوق الفرنسي في أوروبا[4]، لذا ابدا رغبة كبيرة في معاداته لأسرة الهامسبورغ في النمسا وإسبانيا، لكون الأخيرة عملت على بسط سيطرتها الواسعة على غرب اوروبا[5].

وقد اهتم أيضاً بإشراك فرنسا في ميدان الإستعماري ، بتوليه منصب شؤون المستعمرات البحرية عام1626، فبدأ ببناء أسطول بحري لحماية السواحل والتجارة الفرنسية، كما اهتم ريشيليو بالجيش الذي قدر حوالي 43ألف مقاتل، ليحد من الاخطار الداخلية المتمثلة في ثورات الهيجونوت على السلطة، وقد زاد عدد الجيش في عهد إلى 60ألف ،وفي عام 1638 وصل الى 150ألف مقاتل[6].

---

[1] عبد المجيد نعيمي: المرجع السابق، ص125.

[2] عمر عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص259.

[3] ميلا احمد المقرحي: المرجع السابق ،ص 187.

[4] زينب عصمت راشد: المرجع السابق، ص182.

[5] نفسه، ص185.

[6] يحي جلال: **التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية،ب،س،ص51.

لقد عمل ريشيليو في ترسيم سياسته في زيادة التفوق الفرنسي على الساحة الدولية الأوروبية خاصة، بجعل السلطة الملكية حاكمة في الداخل والخارج، فعمل بكل ما بوسعه على تثبيت السلطة المركزية والملكية المطلقة في الحكم. وفي يوم04 ديسمبر 1642توفي ريشيليو، ثم لحقه بقليل الملك لويس الثالث عشر في سنة1643م، تاركا إبنه لويس الرابع عشر في الخامسة من عمره، وتولت وصاية العرش أمه آن النمساوية بمساعده الوزير الجديد مزران[1].

2- الوزير الأول مزران(Jule Mazarin):

بعد وفاة ريشيليو سنة 1642م، تولى الوزارة خليفته الكاردينال جول مزران(**Mazarin**)[2]، المسمى بالإيطالية جوليو مازاريني. وبعده بشهور قليلة مات لويس الثالث عشر تاركا العرش لابنه القاصر لوبس الرابع عشر(1715-1643)، لكن أمه آن النمساوية تسلمت الوصاية على العرش، فجعلت مزران معاونًا لها في تسيير شؤون الحكم[3].

جَنَت فرنسا ثمار سياسة ريشيليو الحكيمة في عهد خليفته الوزير مزران، الذي سار على نهج أستاذه، فرأت وصية العرش ان تضع كل ثقتها في مَزَران، وأيدت سياسته تأييد كلياً، فكان عليه أن يحقق الاهداف التي كان يعمل سلفه من أجلها[4]، على الرغم من الاختلاف الواضح بينهما في اساليب الإدارة، فإنهما كانا متفقين تماما على ضرورة ،واهمية تقوية السلطة في يد الملكية، وتوسع نفوذ وسيطرة الدولة الفرنسية في الخارج، وقد دعم مزران مركزه بالانتصارات الكثيرة في الجانب السياسي والديبلوماسي[5].

---

(1) ميلا أحمد المقرحي: المرجع السابق ،ص189.

(2) جول مزران:(1661-1602م) كردينال فرنسي وكبير وزراء الملك لويس14، ايطالي الاصل، تأثر بريشيليو وسياسته، ثم خلفه على منصب الوزارة، نجح في تثبيت قوة فرنسا إثر معاهدة واستفاليا عام1648 وسيطرتها على اوروبا،واجها ثورة الفروند بدهائه السياسي، أعطي صلاحيات واسعة في القرار كوزير للدولة، ينظر، مازاران جول: **دليل السياسي الناجح ،وصايا السياسي الفرنسي الداهية**، ترجمة حسن خميس، دار الطلائع للنشر، القاهرة 2006،ص ص38-47.

(3) ميلاد المقرحي: المرجع السابق، ص189.

(4) عصمت زينب: المرجع السابق، ص، 188.

(5) ميلاد المقرحي: المرجع السابق،ص190.

3- حرب الفروند 1648-1653م:

جاءت حرب أو ثورة الفروند الأولى، لعدة أسباب منها ،إستياء بعض الطبقات في المجتمع الفرنسي للنظام الاستبدادي، وكرههم لسياسة مزران، وطموح النبلاء في إستعادة نفوذهم[1]، حيث بدأت الثورة عندما رفض البرلمان الفرنسي إعتماد الأوامر المالية المتعلقة بالضرائب، وقدم عرائض إلى البلاط الملكي، يطلب منه الموافقة على جعله مشرفا على الضرائب، وكانت غاية البرلمان هي الحد من سلطة الملك المطلقة في البلاد، وكان برلمان باريس مهمته الرئيسة؛ بل و الوحيدة قضائية، فهو بمثابة المحكمة العليا، فكان الشعب لا يقبل قانونا او ضريبة الا اذا سجل موظفوه(كلهم محامون) القانون أو الضريبة[2].

وكان ريشيليو قد اختزل هذه السلطات أو تجاهلها، فصمم البرلمان على تأكيدها، وأحسّ أنه قد آن الأوان لجعل الملكية الفرنسية ملكية دستورية خاضعة للإرادة القومية، يعبر عنها مجلس نيابي، ولكن برلمانات فرنسا الاثني عشر لم تكن مجالس تشريعية انتخبتها الأمة كما كانت الحالة في انجلترا، بل هي هيئات قضائية، وادارية ورث اعضاؤها مقاعدهم، او وظائفهم القضائية عن آبائهم، او عينهم الملك فيها[3].

ثالثا: الأوضاع الإجتماعية والاقتصادية:

كانت الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية بفرنسا في النصف الأول من القرن 17م، مضطربة نتيجة للأوضاع السياسية الداخلية، بفعل تسلط كبار ملاك الأراضي على القطاعات الزراعية، وكثرة النزاعات الداخلية، والزيادة في الضرائب، ثم هجرة سكان الارياف نحو المدن ، الامر الذي أثر بنيتها

---

(1) تعريف الفروند: بالفرنسية تعني المقلاع، وهو سلاح رمي يتألف من قطعة جلد تربط بسيرين من الجلد او الصوف او أي مادة نسيجية، وبمفهوم السياسي ،هي الاضطرابات التي جرت بفرنسا من 1648 الى1652م، نتيجة استيلاء الطبقة النبيلة والبرلمان من توطيد السلطة والملكية ،يُنظر جول مازران، المصدر السابق، ص45.

(2) عصمت زينب: المرجع السابق، ص، 190.

(3).Sainte Aulare : **Histoire De La Fronde**, Tome Premir, libraires Baudouin freres, paris 1827, p265.

الديموغرافية العامة، ودخول المجتمع الفرنسي نظام جديد ألا وهو الرأسمالي، والتخلص من بقايا النظام الإقطاعي[1].

رغم الاصلاحات التي جاء بها هنري الرابع، غداة نهاية الحروب الدينية، واصداره مرسوم نانت سنة1598، زاد على اثرها الناتج الزراعي، وازدهرت الصناعة الداخلية، وانتشرت الحرف في المدن والأسواق، لكن بعد وفاته عادت الأوضاع الاقتصادية بالتدهور من جديد، نتيجة زيادة الاضطرابات، وزيادة الضرائب على الطبقة المتوسطة [2]،حيث كانت طبقة النبلاء تمتلك لوحدها حوالي خمس الأراضي الصالحة للزراعة، ومعفاة من بعض الضرائب، لكن مع تولي لويس14 السلطة فرض عليهم ضريبة رؤوس الأموال، كما كانت الكنيسة تمتلك حوالي10% من الأراضي المعفاة من الضرائب. تميزت هذه الفترة بتحرير التجارة، وانتشرت بين الفلاحين، ، واستخدمت الأنهار للتنقل، وانتشرت الصناعات الغذائية، وصناعة الجلود[3].

بمجيئ "كولبير" –رجل الإقتصاد القوي– قام بتغير إقتصاد فرنسا وخلصه من جمود الاقطاع إلى نظام موحد، وركّز على الزراعة والصناعة والتجارة، وقد عارضه بعض المزارعين كونه يفضل الصناعة على حساب زراعة الأرض، حيث كان له تأثير مضّر على سكان الأرياف، وأقام مركزية النظام الملكي، وأعفى الفلاحين الذين يستصلحون الأراضي الجديدة من الضرائب[4]، وجلب الصنّاع المهرة من الخارج رغبة منه في تأسيس صناعة قوية، وإذا كانت حركية تقدم في المنتجات الزراعية، فذلك لأن الحكومة أشترت الماشية من سويسرا وألمانيا وهولندا، من أجل تحسين الزراعة المعاشية والتربية الحيوانية، وأيد صناعة السفن ونظّم الطوائف الحرفية التي بدأت تتشكل بفعل نمو الهجرة إلى المدن وانتشار الرأسمالية التجارية [5].

---

[1] نور الدين حاطوم: **تاريخ القرن السابع عشر في أوربّة**، دار الفكر، دمشق 1987،ص ص 255-257.

[2] عبد العظيم رمضان: **تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة1997، ج1، ص286.

[3]عبد العظيم رمضان: المرجع السابق،ج2، ص289.

[4]Colbert**: Des Mémoires Dépeuple Français**, paris Librairie centrale des Publications Populaire, Pris1880, pp48-50.

[5]Ibid, p52.

تميز **المجتمع** الفرنسي في النصف الأول من القرن17م، بكثرة عدد سكانه البالغ ما بين 15و18مليون نسمة، وهذا يوضح عن سعة الدور الكبير الذي تلعبه في القارة[1]،ويؤكد المؤرخون بأنه لولا الحروب وارتفاع الرهيب في نسبة الوفيات ،والمجاعات والأمراض ، لتضاعف سكانها كل عشرين سنة[2]،وقُسم المجتمع الفرنسي إلى طبقات، أولها العائلة المالكة، ثم رجال الدين، والنبلاء والدوقيات، ثم طبقات البرجوازية التجارية والإدارية، ثم طبقة اعضاء المجلس الاستشاري، والبرجوازية المالية، ثم طبقة المحكومين المتمثلة في الشعب بالأرياف وأصحاب الزراعة، والحرف، وأخيراً سكان المدن والبرجوازية الصغيرة[3].

ضربت المجاعة الشعب الفرنسي في السنوات 1629 1648 1651، حيث بلغ انتشارها في بعض المناطق إلى 30%، وأدت هذه الوضعية الى انكماش اجتماعي في كل المجالات خاصة في الأرياف. إضافة على الحروب الخارجية التي خاضها لويس الرابع عشر مع الدول الأوروبية ما بين سنوات 1635م-1667م[4].

(1)Benoit Gargot**: La population la France aux 16ème, 17èmeet 18ème siècles,** ed, ophyris, paris, 1988, p14.
(2)Ibid, p22.
(3)Fransois Loirette:**Létat et la région, Léxemple de Laquittaine au XVIIe, siècle**, presses universitairés, bordeaux1998, p145.
(4)Fransois Loirette: Op. Cite, T1, p152.

المبحث الثالث: تولي لويس الرابع عشر العرش1661-1715م.

كان مزران يعاني من حمى التيفوئيد، التي أدت لوفاته، فأوصى لوريث العرش لويس الرابع عشر بأن يكون وزير نفسه، والا يترك مسائل السياسة لأي من مساعديه[1]، فقرر لويس الرابع عشر بنفسه الانفراد بالسلطة، ولا يترك المجال لوزير، او غيره يوجهه في شؤون البلاد، وقد أقبل عليه رؤساء الادارات يسألونه: إلى من يذهبون ليتلقوا التعليمات؟ فأجاب ببساطة: إليّ، وقد عبّر عن سياسته هذه بمقولته الشهيرة، "الدولة أنا"[2].

كانت أوتوقراطية [3]لويس الرابع عشر هي الحالة المسيطرة على أوروبا فمنذ أن انفرد بالسلطة في سنة1661م،حتى وفاته في سنة1715م، وأصبح أحد أعظم ملوك فرنسا ورفعها إلى مصاف كبار الأمم، استفاد لويس الرابع عشر من دروس سابقيه، خاصة الوزيران ريشيليو، ومزران، فكان أول ملك فرنسي جعل من الملكية مهنة جديدة وفاخرة، فقرر ألا يدع وزيراً ولا أي أحد يشاركه في شؤون الدولة[4].

---

(1) جول مازاران: المصدر السابق،ص53.

(2) لويس الرابع عشر:(1715-1661)والده لويس 13 وامه آن النمساوية، ورث الحكم بعد وفاة والده سنة1643م، وهو بسن خمس سنوات، فكانت الوصاية لوالدته، تسلم الحكم سنة1661م وعمره 22سنة، دام حكمه 55سنة،حتى وفاته في سنة1715م،ورث دولة متماسكة وقوية ، بفضل سياسة الوزيرين ريشيليو ومزاران، حكم فرنسا حكم مطلقا يفرض رأيه وسياسته لوحده، تزوج ماريا تريزا الاسبانية سنة1659م، خاض عدة حروب خاصة مع اسبانيا (حروب الوراثة. يُنْظَرُ: عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، دار الفكر العربي، مصر 1999، ص ص 172-183.ينظر الملحق رقم 06.

(3) أوتوقراطية: يقصد بها نظام الحكم الذي يكون فيه السلطة المركزية في يد فرد واحد، وهذا لا يعني غياب، وتخلي القوانين والدساتير، ولا يشرك فيه الجماعة، ولا الاحزاب .للمزيد يُنْظر: محمد محمود ربيع وإسماعيل صبري: **موسوعة العلوم السياسية**، دار الوطن، الكويت1993،ص270.

(4) هربت فيشر: **أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة إلى الثورة الفرنسية**، ترجمة زينب عصمت راشد وآخرون،ط3،دار المعارف،مصر1970،ص297.

يبدو أن لويس قد آمن حقيقة بأنه مبعوث العناية الإلهية لحكم فرنسا، وحكمها بسلطة مطلقة، وقد أفصح عن مذهبه في الحكم المطلق حينما أراد برلمان باريس سنة1665م، ان يناقش بعض مراسيمه ففض المجلس وحوله الى مجلس ملكي خاص، خاضع للملك بشكل دائم[1].

حكم لويس الرابع عشر فرنسا قرابة أربع وخمسين سنة، عرفت فيها البلاد مرحلة جديدة في تاريخ فرنسا الحديث، ظهرت آثارها واضحة تماماً في التاريخ الأوروبي السياسي، وقد عُرِفَّت هذه الفترة بعصر لويس الرابع عشر(عصر الملكية المطلقة، والتفوق الفرنسي)، دون ان ننسى مجهودات الوزيرين ريشيليو ومزران وفَضْلِهما في تحضير لحكم هذا الملك[2].

النهوض بالبحرية الفرنسية:

لم تكن البحرية الفرنسية بتلك القوة التي يعتمد عليها في مواجهة الأخطار الخارجية ، والخوض في غمار الحروب البحرية، ومقارعة الأساطيل الأوروبية الأخرى، حيث شهد القرن17م منافسة شديدة بين الإمبراطوريات الإسبانية والهولندية على زعامة البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، فالبحرية الفرنسية لم تكن ضمن هذه القوة لتضع موطئ قدم على الخارطة البحرية الأوروبية، فلم يتمكن هنري الرابع من رفع شأنها، رغم وصول الكاردينال "ريشيليو" إلى السلطة، وسعى جاهدا إلى تطوير البحرية، فإنها ظلت ضعيفة غير قادرة على احتواء التنافس الدولي حينها، فلم يتجاوز عدد سفنها واحداً وعشرين سفينة[3].

مع وصول الكاردينال ريشيليو الذي دفع بالبحرية الفرنسية إلى الأمام، بجعلها ضمن مصاف الأساطيل الأوروبية القوية، حيث أفاد المؤرخون أنه بعد وفاته كان الأسطول الفرنسي يتشكل حوالي

---

[1] أحمد ميلاد المقرحي: المرجع السابق،ص196.

[2] نفسه، ص197.

[3] Paul Masson**: les galères de France, Marseille,port de guerre (1481/1781),** Edition Hachette, paris1938, p106.

ثلاثة وستون سفينة واثنين وعشرين بارجة محكمة التجهيز[1]،وفي عهد لويس الرابع عشر زاد الاهتمام بها، فشهدت البحرية الفرنسية تطورا ، تمثل في الاصلاحات التي قام بها الوزير "كولبير"(**Colbert**) ، الذي عزم على إعادة مجد وشرف المملكة في البحر، ومجهودات مزران في تطوير البحرية من أجل مجابهة البحرية الجزائرية[2].وفي سنة 1661م بلغت البحرية الفرنسية أوَّج قوتها في عهد الوزير "مازران" بغية مجابهة والتصدي للقرصنة وأعداء فرنسا في البحار وحماية مصالحها التجارية والاستراتيجية.

احتلت فرنسا في عهد لويس الرابع عشر مكانة عالية بين الدول الأوروبية[3]، فكانت أقوى مملكة ومركز للسلطة والسياسة، وقد خاض سلسلة من الحروب على المستوى الأوروبي، بهدف التفوق على اسرة الهامسبورغ النمساوية والقضاء على الامبراطورية الهولندية والقضاء على القرصنة البحرية في البحر المتوسط، فكانت بداية الحروب ، حرب الوراثة الاسبانية(1668-1667)،و الحرب مع هولندا ما بين (1697-1675م)، فجعلت هذه الحروب لويس الرابع عشر يسيطر على أوروبا، ويزيد من توسعات ومساحة نفوذ فرنسا في القارة الأوروبية[4].

ومجمل القول:

– عرف المغرب الأقصى بعد وفاة المنصور سنة 1603م حالة من الفوضى وعدم استقرار، طبعت كامل مناطق الدولة، غيرت مشهده السياسي، بخلق كيانات سياسية جديدة تريد تزعم السلطة واستثمار في الوضع المضطرب للبلاد.

– كان هذا بسبب الصراعات وافتتان ابناء المنصور، الذين تصارعوا وتقاتلوا على الملك والسلطة، أين خاضوا عدة حروب فيما بينهم، فأدى ذلك إلى بروز نجم يعض القوى الدينية متمثلة في الزوايا ،والزعامات المحلية، سعت لتصدر المشهد العام وخلق كياناتها السياسية المستقلة.

---

[1] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: المرجع السابق، ص 173.

[2]Alfred Doneaud : **Histoire de la Marine française, des origines, à la fin du XIX siècle**, Editins, L'ancre DE Marine, saint Malo,,2002 p59

[3] Eugène Sue **: Histoire de la marine françaises**, vol**1**, ed .A. everat, paris 1845, p16.

[4] عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: المرجع السابق، ص 176-177.

– تجدد الغزو الأجنبي والإيبيري على المدن الساحلية المغربية وعل الثغور وردة فعل الجهادي للمغاربة.

– شهدت هذه الفترة أزمات إقتصادية وإجتماعية ، نتيجة لحالة عدم الاستقرار السياسي والأمني للأوضاع.

– في ظل هذه الأوضاع غير مستقرة برزت قوة جديدة تمثلت في العلويين، بقيادة الشريف مولاي علي وأبنائه، الذين تمكنوا من القضاء على القوى المتصارعة فيما بينها.

– سعي سلاطين العلويين على إعادة الاستقرار السياسي و الامني للمغرب بدءا بمولاي الرشيد، ثم تولي المولى إسماعيل العرش المغربي لتنطلق بداية الحقيقة لتأسيس دولة جديدة بالمغب هي الدولة العلوية ليكون المؤسس الفعلي لأركانها وموحد وحدة المغرب الترابية والجغرافية.

– أما الوضع في فرنسا عرف حروب دينية بين الكاثوليك والبروتستانت، متأثرة بذلك بالحالة الدينية في اوروبا القائمة على الصراع.

– أعقب ذلك استبدال وتغيير في هرم العرش تبوأت عائلة البوربون**(Bourbon)** مكان أسرة الفالوا،**(Valois)**. بعد إغتيال الملك هنري الثالث، ليخلفه الملك هنري الرابع على العرش، و كذا بروز الملكية المطلقة.

– اعتبرت هذه المرحلة ، فترة بروز رجال أقوياء في الساحة السياسية لفرنسا، أعادوها الى مكانتها الدولية أمثال "**ريشيليو** "و"**مازران**" ثم الإقتصادي "**كولبير**"، فهؤلاء إعتمد عليهم ملوك فرنسا لتحقيق نفوذها السياسي والعسكري في القارة الأوروبية.

– في عهد الملك لويس الرابع عشر، شهدت فرنسا أوج قوتها في مختلف المجالات السياسية والعسكرية والإقتصادية ، مكنته من فرض منطق قوته على الدول وعلى السياسات الخارجية كذلك.

الفصل الثاني:

العلاقات السياسية السلمية بين المغرب الأقصى وفرنسا 1727/1672م.

المبحث الاول: بداية العلاقات السياسية بين البلدين.

المبحث الثاني: التمثيل الدبلوماسي وتبادل السفارات.

المبحث الثالث: دور القناصل والمراسلات في إرساء السلم والوئام.

المبحث الرابع: التبادل التجاري وؤبط المعاهدات 1672م/1727م.

تباينت مظاهر العلاقات المغربية الفرنسية، فكان منها السياسية والتجارية، بطابعها السلمي تارة والقطيعة إلى حد الجمود تارة أخرى، وفي هذا الفصل سنتطرق في دراسة الطابع السلمي للعلاقات السياسية بين البلدين، حيث تعددت العلاقات بين البلدان البحر المتوسط بضفته الشمالية والجنوبية منها تجارية ودبلوماسية، وكان المغرب الأقصى وسلطانه المولى إسماعيل على اتصال بدول اوروبا ،خاصة فرنسا، التي ربط معها علاقات متنوعة، فتم بموجبه عقد عدة اتفاقيات ومعاهدات تجارية بين الطرفين، وتبادل للبعثات الدبلوماسية بين البلدين.

فقد تمكن الفرنسيون عبر قناصلهم الموجودين على التراب المغربي من معرفة كل خصائص التي يمتلكها المغرب، وبهذا يسهل على صناع القرار في البلاط الملكي الفرنسي من صياغة محتوى سياستهم اتجاه المغرب وسلطانه، وكذلك البعثات المغربية إلى فرنسا ساعدت المغرب على معرفة التطور الحضاري والتكنولوجي وحتى العسكري في فرنسا والاستفادة منه، وفي هذا الفصل نحاول التطرق إلى المظاهر التي حدثت بين البلدين في مضامين عدة.

جاء في المبحث الأول، التمثيل الدبلوماسي وتبادل السفارات، وفي المبحث الثاني دور القناصل والمراسلات في ارساء السلم بين الطرفين ،أما المبحث الثالث تضمن التبادل التجاري، وربط بعض الاتفاقيات والمعاهدات.

المبحث الأول:جذور العلاقات السياسية بين البلدين:

تعود العلاقات المغربية الفرنسية إلى بداية القرن16م ،مع العهد الوطاسي ففي سنة 1533م أرسل فرانسوا الأول إلى أحمد الوطاسي مبعوثا ذا خبرة عسكرية وسياسية ،وهو الكولونيل "بيرو دو بيطون وكان برفقته شخصية أخرى وهو" إيمون دومولون"، الذي سبق وأن زار المغرب، وبعد رسو الباخرة بالعرائش، إتصل المبعوث في ضواحي المدينة بأحمد الوطاسي الذي إستقبله استقبالا حسنا، واحضر معه بعض الهدايا للسلطان، وسمح للمبعوث الفرنسي بعض الإمتيازات كحق جلب الدواب من المغرب والسماح للبواخر الفرنسية بالرسو في شواطئ المغرب[1].وبعد دخول السعديين لمراكش، في عهد "محمد الشيخ" قدم إلى المغرب سنة950هـ/1543م مبعوثا عن "فرانسوا الأول" يدعى" باكلون جان" ليفاوض محمد الشيخ بتزويد فرنسا بالمعدن الأبيض(القصدير) ، في المقابل المعدن الصالح لصناعة المدافع[2].

في عهد عبد الله الغالب، كانت العلاقات مع فرنسا تتصف بالطيبة، بإبرام معاهدة بين السلطان المغربي وأنطوان دوبورمون، حاكم نفار سنة966هـ/1559م، ونصت على منح فرنسا خمسمائة جنديا، وعشر فرسان يكونون تحت تصرف عبد الله الغالب، مقابل منح ميناء القصر الصغير لفرنسا، اضافة الى تسهيلات تجارية، ورعاية خاصة للفرنسيين في المغرب[3].

أما في عهد المولى عبد الملك بقيت العلاقات ودية، فكانت مراسلته للملك الفرنسي هنري الثالث بواسطة الضابط لويس كابريط الذي تربطه علاقة صداقة بعبد الملك منذ أن كان في الجزائر، فكانت هذه التقارب سببا في برط علاقات طيبة مع فرنسا، حيث بُعِث بالسفير قيوم بيرا الى الملك هنري الثالث، يعلمه برغبته في عقد حلف عسكري بين البلدين، وفي 23ماي1577 ارسل عبد الملك مبعوثه موسى بن عبد النبي الى السفير الفرنسي بسطنبول، يؤكد فيها رغبة عبد الملك بربط وانشاء علاقات مع ملك فرنسا[4].

---

(1) إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، المرجع السابق، ج2، ص186.

(2) عبد الهادي التازي: **التاريخ الديبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**،10ج،مطابع فضالة، المحمدية، المغرب1988، ج8،ص163.

(3) نفسه،ص166.

(4) Fagnan **:Extraits inédits relatifs au Maroc**, alger1924, p350.

وفي عهد السلطان أحمد المنصور لم تكتس العلاقة بين فرنسا والبلاط السعدي صفة ديبلوماسية على الدوام، فقد تناولت احيانا تبادل الأسرى او استخدام بعض الفرنسيين كأطباء او فنيين، فقد كان التواجد القنصلي لفرنسا في المغرب ابتداء من سنة 985هـ/1577م في صفة أطباء، حينما أرسل الطبيب كيوم بيرار الذي كان يعالج الامير عبد الملك السعدي أثناء وجوده في القسطنطينية، حيث لعب دورا كبيرا لصالح بلده ، بالرغم من أنه غير محترف للدبلوماسية، واستمر في صلته بالبلاط السعدي حتى ايام المنصور[1].

بقت العلاقات المغربية الفرنسية في عهد المنصور تدور مضامينها في مسألة الأسرى، والتجارة، ولم ترق إلى علاقات دبلوماسية وسياسية، إثر تولي المنصور عرش المغرب، أرسل إليه هنري الثالث سفارة يقودها القنصل "كيوم بيرا" بتاريخ 21 جمادى الأولى 987هـ/ جويلية1579م يهنئه بالملك، وانتصاره على أعدائه، مذكراً إياه بالعلاقات الطيبة؛ التي كانت بين فرنسا واخيه المولى عبد الملك ، مضيفا إلى ذلك، رجاء فرنسا أن يأذن لمراكبها بدخول الموانئ المغربية[2].

حرص القنصل الفرنسي على تحرير ما يوجد من أسرى فرنسيين بالمملكة، وأن يُسمح له بتصدير أربعين ألف قنطار من الرزينة لاستعمالها في الأصباغ، وبتصدير خمسة وعشرون ألف قنطار من ملح البارود، وتقدم السفير الفرنسي بطلب للمولى أحمد المنصور، يلتمس منه إقراض الملك الفرنسي "هنري الثالث" مبلغا قدره مائة وخمسين ألف دينار[3]. مما يدل هذا على المكانة السياسية، والاقتصادية؛ التي وصل إليها المغرب؛ بعد الرخاء الذي شهده عقب معركة وادي المخازن، وتوجهه جنوبا في حملة عسكرية نحو بلاد السودان[4].

---

[1] عبد الهادي التازي: المرجع السابق، مج 7ص173.

[2] نفسه.

[3] Henri De Castries**:les sources inédites de L'histoire du Maroc** ,1serie, dynaste saadienne, Archives bibliothèques de France, T2, éditeur Ernest Leroux, Paris1909.P22.

[4] عبد الهادي التازي: المرجع السابق، مج 7،ص174.

بعد تولي المولى الرشيد الحكم ، ربط علاقات خارجية مع بعض الدول الأوروبية، فكانت فرنسا قد دشنت علاقاتها السياسية والتجارية مع الدولة العلوية عام 1666، حين قدم التاجر الفرنسي" رولان أفرجس" إلى المغرب، وكان المولى الرشيد يوم ذاك في تازا، يطلب منه الإذن لبناء محل للتجارة في واد نكور، وكان قد وجه إليه كتابا سابقا يطلب فيه الأمان عن نفسه وتجارته، وان بيده كتابا من ملك فرنسا كلفه بتقديمه للسلطان فأمنه الرشيد، وعين له ستين بعيرا لحمل بضاعته[1].

لم تكن تلك المراسلة الوحيدة، فقد بعث الملك الفرنسي لويس الرابع عشر إلى السلطان الرشيد رسالة، مضمونها التجارة و تبادل الأسرى ،وربط علاقات ودية معه، وأن يأذن لشركة الفرنسية بفاس بقصد التجارة في الجلود والشمع والنحاس، فلم يجبه لذلك، إلا أن الملك لويس الرابع عشر سعى إلى برط علاقات طيبة مع المولى الرشيد بهدف تسهيلات تجارية وسياسية للفرنسيين[2].

بعد تولى المولى إسماعيل على العرش أرسل الملك لويس الرابع عشر رسالة يهنئه فيها منصبه حاكما على المغرب، ويجدد فيه اعتماده صامويل روى للتفاوض حول مسألة تبادل الأسرى، وقد شهدت هذه الفترة علاقات متنوعة، إذْ غلب عليها السلم تارة، والعداوة والصدام تارة أخرى، وقد عمل كل من مولاي اسماعيل ولويس الرابع عشر على تمتين هذه العلاقات، وايجاد حلول لمشكلة الأسرى التي تأثر على مستقبل العلاقات الدبلوماسية بين البلدين[3].

---

(1) عبد الهادي التازي: المرجع السابق ،ج9،ص68.

(2) عبد الرحمان بن زيدان: **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تحقيق، علي عمر،5ج، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة2008، ج3،ص76.

(3) عبد الهادي التازي: المرجع السابق،مج9،ص69.

المبحث الثاني: التمثيل الديبلوماسي وتبادل السفارات.

أخذّت حركة الجهاد البحري والقرصنة، دوراً فعالاً في تأزم العلاقات بين البلدين، رغم استمرار النشاط التجاري بينهما، لذلك نشطت الآلة الدبلوماسية المغربية الفرنسية، لتطوير العلاقات وتسوية المشاكل العالقة كالأسرى، فأعتمد النشاط الدبلوماسي على البعثات السفارية بين البلدين، وهذا يجعلنا نشير إلى بعضها لكلا البلدين، ونحاول التعريف لأهم السفارات التي أرسلت من المغرب إلى لبلاط الملكي الفرنسي.

أولا: السفارات المغربية إلى البلاط الملكي الفرنسي:

وجب الإشارة أن المخزن المغربي قد استخدم العديد من المبعوثين إلى البلاط الفرنسي لتسوية العلاقات وتحريك عجلة الدبلوماسية المتبادلة بين المغرب و فرنسا ونذكر منها:

1- سفارة الحاج محمد تميم 1682/1681م:

لم تول المصادر التاريخية المغربية عن سيرته الذاتية، نظرا لشهرته في سفرياته إلى فرنسا، لكن المصادر الأجنبية والفرنسية خاصة ، التي ذكرت أنه أول سفير ارسله المولى إسماعيل إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر وذلك سنة 1681/1092م[1]، ضمت هذه السفارة كل من الحاج محمد تميم بصفته قائداً للبعثة، والحاج علي معنينو معاوناً له، إضافة إلى الحاج عبد القادر وأخر يدعى المراكشي، وتمحورت محادثات السفارة على التفاوض في مسألة القرصنة، وحماية الأسطول الفرنسي و التبادل التجاري، وابتدأت هذه المفاوضات المغربية الفرنسية سنة 1682م[2].

2- ظروف و أسباب السفارة:

جاءت هذه السفارة بعد تعثر مهام المبعوثين الفرنسيين "روي صامويل" بتاريخ 21 فيفيري1672م في مسألة الأسرى، وحملة شاطو رونو **(Chateau Renault)** على سلا عام 1680م،وتوسع القرصنة بين البلدين، حيث كتب مولاي اسماعيل رسالة بتاريخ 13 سبتمبر

---

(1) younes Nékrouf: **Une Amitie Orageuse, Moulay ismail et Louis XIV**, éditions Albin Michel, paris 1987, p142.

(2) محمد داود: **مختصر تاريخ تطوان**،ط2، مطبعة المهدية، تطوان، المغرب 1955، ص 60.وللمزيد ينظر الملحق رقم05.

1681م إلى لويس14 يقترح عليه مشروع إرسال له سفير إلى فرنسا، ليأتي الرد من الطرف الفرنسي برسالة من "كولبير كاتب البحرية الفرنسية بتاريخ 28 أوت 1681م، يعلمه فيها بأن ملك فرنسا يرفض طلبه في مجيء السفير المغربي إلى فرنسا[1].

في 04 سبتمبر 1681م أرسل مولاي إسماعيل رسالة إلى لويس الرابع عشر يعرب فيها عن العلاقة الودية والحسنة بين البلدين، ويؤكد له على إطلاع سراح الأسرى الفرنسيين، ومواصلة المفاوضات مع الطرف الفرنسي المبعوث لهذا الغرض، ومن أجل الوصول إلى اتفاق بإرسال سفير إلى البلاط الفرنسي[2].

لم يتّم الرد والإجابة من طرف لويس رابع عشر على رسالة مولاي إسماعيل، المتضمنة إرسال السفير المغربي إلى فرنسا، لكن عند سماع مجيئه تلقى الخبر باشمئزاز، بل وطلب أن يُعَاد إلى بلده، وفي يوم 17 أكتوبر 1681م رسّت سفينة محمد بن تميم في ميناء بريست في شمال فرنسا، وأثناء إقامته بالمدينة ، بدأت تحريات لمعرفة الإجراءات القانونية لقدوم هذا الأخير، وبعد تأكد من أنه مبعوث من السلطان المولى إسماعيل سُمِّح له بالدخول للمدينة[3].

بعد وصول البعثة المغربية في نهاية ديسمبر 1681م، والإجراءات الرسمية في استقبالها من طرف البلاط الملكي الفرنسي، عين الملك أعضاء المفاوضين، وهم "كولبير و سينيا يلي" لتفاوض مع محمد تميم، وقد سبق هذا دعوة لويس14 اعضاء البعثة لمأدبة غذاء، ثم حضور حفلات في مسرح جيرمان، وزار الأكاديمية الموسيقية الملكية، ثم كنيسة نوتردام، والمكتبة الوطنية ومعهد السوربون، حيث رسمت له صورة تذكارية مع رفقائه[4].

---

(1) Rabih Saïd: **Deux Ambassadeur Marocaines en France aux17 siècles**, Université de Picardie jules vene, Année,1998-1999 , p45.
(2) Ibid, p04.
(3)Younes Nékrouf: Op.cit**,** p85.
(4) Godart Leon: **Description Histoire et du Maroc**.ed.tanera, paris186, p50.

3- بنود المعاهد[1]ونتائج السفارة:

ابتدأت المفاوضات بين الطرفين سنة 1682م،واستمرت ما يقرب شهر، توصل من خلالها الطرفان المغربي والفرنسي، على إبرام معاهدة نصت على واحد وعشرون بنداً، وسنحاول مناقشة أهمها :

البند الأول:

سيتوقف مستقبلا كل عمل عدواني بين القوات البرية والبحرية، لرعايا إمبراطور فرنسا ورعايا إمبراطور المغرب.

البند الثاني:

سيعم السلم مستقبلا بين إمبراطور فرنسا ورعايا، وإمبراطور المغرب ورعاياه، ويمكن لرعايا البلدين أن يمارسوا التجارة بكل حرية في الإمبراطوريتين، كما لهما استعمال البحر بكل حرية كذلك.

البند الثالث:

لا يجوز للسفن الحربية المغربية، ان تعترض سبيل السفن الفرنسية في البحر، الحاملة للراية الفرنسية والمتوفرة على جوازات سفر أميرال فرنسا، المطابقة للنسخة التي تنص عليها هاته المعاهدة، كما يقتضي هذا النبد، بأن تقدم السفن المغربية كل الإسعافات والمساعدات الضرورية للسفن الفرنسية عند الاقتضاء، ونفس المعاملة ستتلقاها السفن المغربية من السفن الفرنسية.

البند الرابع:

ضمان المساعدة، وتقديم الإغاثة من الطرفين، لسفن وتجار البلدين، مع أداء هذه الخدمات بالأسعار المعتادة، في الأماكن التي سيتم الرسو بها.

---

[1] ينظر أحمد الأزمي: **العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا على عهد السلطان مولاي إسماعيل(1672م/1727م)**، منشورات ما بعد الحداثة، فاس 20007، ص ص 19-23.

البند الخامس:

بأن يدافع المغرب عن السفن التجارية الفرنسية بعرض المياه المغربية، ويحميها إذا تعرضت لاعتداء الجزائريين والتونسيين، أو أي عدو من موانئ إفريقية أخرى، والشيء نفسه ستقوم به فرنسا اتجاه المغرب في الدفاع عن السفن التجارية المغربية، أي ان الدفاع عن السفن سيكون متبادل ضد الأعداء.

البند السابع:

هو أن الفرنسيين فضلوا حل مسألة الأسرى عن طريق الافتداء، بدل التبادل الذي نصت عليه المعاهدات السابقة، وهو علم مقصود لأنه يحقق رغبة لويس 14 في الاحتفاظ بالأسرى المغاربة المجذفين، ويضمن تحرير الرعايا الفرنسيين الاسرى بسجون مولاي إسماعيل.

البندان التاسع و العاشر:

جاءا ليقضيا بتقديم المساعدة للسفن الفرنسية الغارقة بالشواطئ المغربية لسبب من الأسباب، ولمنح كل التسهيلات للتجار الفرنسيين بأرض المغرب. ومن المعلوم أن هذه الامتيازات كانت احادية الجانب لأن المغاربة لن يصلوا قط بسفنهم وتجارتهم على الموانئ الفرنسية.

البند الثامن عشر:

إذا الحق قراصنة فرنسيون او مغاربة ضررا بسفن فرنسية او مغربية بالبحر فإن جزاء العقاب وتحمل مسؤولية ذلك يرجع لمجهزي السفن وارباحها.

البند التاسع عشر:

إذا كُتِب لهذه المعاهدة أن أصبحت ملغاة لا قدر الله،فإنه يسمح لكل التجار الفرنسيين بالمغرب بالانسحاب حيث أرادوا دون ان يوقفهم احد طيلة ثلاثة أشهر.

البند العشرون:

ستتم المصادقة على البنود أعلاه، وتزكيتها من إمبراطور فرنسا وإمبراطور المغرب ليتم العمل بها من طرف رعاياهما لمدة ستة سنوات، وستقرأ وتنشر وتعلق هذه البنود في كل مكان حتى لا يتذرع أي أحد بجهله بها.

ونستنتج أن السفير المغربي محمد تميم أبرم معاهدة مع الفرنسيين كانت كل بنودها تقريبا في صالح فرنسا، فهل انساق هذا السفير لرغبات الفرنسيين تحت تأثر المناظر الطبيعية والعمرانية والأثرية التي زارها، وحضور الحفلات الفنية وإعجابه بجو باريس طبقا لخطة محكمة اعدها الفرنسيون للتأثير على ضيفهم ونيل ثقته؟ أم أن محمد تميم لم تكن له شخصية الدبلوماسي المحنك، فصيغت بنود المعاهدة على حساب مصلحة المغرب رغم ما قدمه من اقتراحات لم تؤخذ بعين الاعتبار.

4- نتائج سفارة محمد تميم:

باستطاعتنا الحكم على إيجابية هذه السفارة أو سلبيتها، من خلال مناقشة بعض بنودها، والتي اتضح انها تخدم مصالح الطرف الفرنسي في المقام الأول ومنها.

-البند الخامس: الذي يقضي بأن يدافع المغرب عن السفن الفرنسية في المياه المغربية ويحميها، إذا تعرضت لهجوم من السّفن الجزائرية، أو التّونسية، أو عدو من افريقيا، فيمكن القول أن هذا البند سَيُحْدَثُ مشاكل كبيرة للمغرب باعتبار ان الجزائريين والتونسيين إخوة للمغاربة، يتقاسمون هموم المنطقة، ولا يمكن للمولى إسماعيل ان يكون الامين لفرنسا في الجنوب الغربي للبحر الابيض المتوسط.

البند السّابع: يبين رغبة الفرنسيين في حل مسألة الأسرى عن طريق الافتداء بدل التبادل، وهو عمل مقصود الهدف من ورائه الاحتفاظ بالأسرى المغاربة للتجذيف، ويضمن تحرير الرعايا الفرنسيين.

البندان التاسع والعاشر: يهدف بتقديم تسهيلات وامتيازات للتجار الفرنسيين في أرض المغرب.

البندان الرابع عشر والخامس عشر: يجعلان من القنصل الفرنسي شخصا لا يمكن متابعته بأداء أي دين عن التجار الفرنسيين، إذا لم يكن ذلك مثبوت كتابة[1].

[1] أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص 25.

5- معاملة غير لائقة للسفير المغربي:

تعرض السفير محمد تميم في فرنسا ، لمعاملة مهينة لم تكن تنم عن تقدير الفرنسيين للمغرب وسلطانه، حيث تعرض إلى اهمال ومماطلة مقصودين من طرف الفرنسيين، منذ أن وطئت قدماه ميناء بريست**(Brest)**،إلى أن غادر فرنسا عائداً إلى المغرب في نهاية مارس 1682[1]،اضطر محمد تميم إلى المكوث ما يزيد عن الشّهرين، وفي ظروف مناخية جد صعبة أثناء الشّتاء في ميناء بريست، ينتظر السّماح له بتقديم أوراق اعتماده سفيرا للمولى اسماعيل لدى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، ولم يُسمح له بالالتحاق بالعاصمة الفرنسية إلا بعد أن تأكد من صحة أوراق اعتماده، ولم يحض باستقبال بروتوكولي لائق كما جرت العادة في اعتماد سفراء الدول[2].

ثانيا: سفارة الأميرال عبد الله بن عائشة1110هـ/1698:

جاءت سفارة عبد الله بن عائشة في ظروف متوترة بين البلدين، ومشكلة الأسرى والسعي لإيجاد حلول ترضي الطرفان. أشارت المصادر و المراجع إلى شخصية بن عائشة بمعلومات غير كافية عن حياته، سوى ما قاله عنه ابن زيدان بقوله:<<**ومن عمال السّلطان إسماعيل، قائد الثغور والأسطول، عبد الله بن عائشة الأندلسي الرباطي الولادة والوفاة، كان قائد الرباط والأسطول وسفير، ولاه السلطان إسماعيل شؤون البحر وهو من أشهر سفراء السلطان**...>>[3]،وقال عنه القنصل الفرنسي في سلا جان باتيست إيستيل**(jean Baptise Estelle)** [4] والذي كان معاصرا

---

[1] جمال سهيل: **البعثات الدبلوماسية المغربية للبلاط الفرنسي خلال القرن11هـ/17م**،مذكرة ماجستير غير منشورة، مركز الجامعي غرداية، الجزائر 2011/2010،ص118.

[2] أحمد الأزمي: المرجع السابق،ص27.

[3] عبد الرحمان بن زيدان: **المنتزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**، المرجع السابق، ص 260.

[4] دبلوماسي وسياسي فرنسي من مواليد مارسيليا في جانفي1662م، عين سفيرا لفرنسا في المغرب سنة 1683 توفي في مسقط رأسه في جانفي 1723م.للمزيد ينظر: Caillé Jacques:**Le Consul Jean-Baptiste Estelle et le commerce de la France au Maroc à la fin du XVIIe siècle** Revue française d'histoire d'outre-mer ,tome 46, n°162, 1959. p. 7.

لعبد الله بن عائشة، وتربطه به علاقة قوية:<< ...كان هو رئيس البحرية الملكية في المغرب، وهو واحد من أشهر قراصنة سلا المرعبين...>>.ووصفه أحد المفاوضين[1] الفرنسيين بقوله:<<...**إنّه كان رجلا مليئا بالأمل وقمة في الأدب واللباقة لا يمكن ان نتصورهما من رجل عمل في القرصنة بل ويعتبر من مواليد بلاد البربر**...>>[2].

1- أسباب وظروف سفارة بن عائشة:

على إثر سفارة البارون" دو سانت أومون"**(Baron de saint Amans)**، توقفت المفاوضات بين المغرب وفرنسا من سنة 1693م حتى سنة1699م، وهو التاريخ الذي شهد وصول سفارة عبد الله بن عائشة إلى باريس، وفي غياب أي تفاهم أو تقارب، دخل البلدان طيلة هذه الفترة في نزاعات مسلحة بين مجاهدي البحر المغاربة والقراصنة الفرنسيين،كما أن مسألة افتداء الأسرى، تأثرت بذلك[3].

ومع ازدياد الجهاد البحري والقرصنة بين الطرفين، جُعِل من الحلول الدبلوماسية هي السبيل والأمل الوحيد في اعادة السلم والهدوء والمفاوضات، علما ان السلطان مولاي اسماعيل قد رفض المصادقة على اتفاقية الحاج تميم، الأمر الذي دفع بلويس الرابع عشر إلى إعلان العداء اتجاه المغرب، وقطعه للعلاقات التجارية سنة 1687م[4].

كان معظم نشاط وعمل ابن عائشة كله في البحر، يمارس نشاطه الجهاد البحري على السفن الأجنبية خاصة الفرنسية منها، لذلك خصصت فرنسا بعض السفن لتضرب حصارا على الموانئ المغربية، فأبحرت السّفن بقيادة" الماريشال دوكويط لوكون" لمطاردة القراصنة السّلاويين،والقاء القبض عليهم،لكن لم يفلحوا في ذلك، فتمكن بن عائشة من العودة الى سلا يوم 15 جويلية1698م ومعه عدد من الأسرى الفرنسيين[5].

---

(1) نيكولا لويس تونولي: دبلوماسي فرنسي له مذكراته، التي وصف فيها تحركات بت عائشة في فرنسا خلال الفترة من 11نوفمبر 1698الى ماي 1699، يُنْظر فهد بن محمد السويكت: المرجع السابق،ص17.

(2) نفسه:ص17.

(3) أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص62.

(4). Rabih Saïd : Op.cit,p51,54.

(5) فهد بن محمد السويكت: المرجع السابق،ص38.

بعد الانتصار المحقق من قبل بن عائشة على السفن الفرنسية، أُرْسِلَّتْ أوامر لماريشال ديستري بالتوجه لمطاردة سفن السّلاويين، والقضاء عليها، لكنه فشل في مهمته،مع هذا الجو المتوتر اقترح ابن عائشة على الماريشال الجلوس لتفاهم، واستئناف مفاوضات السلم بين المغرب وفرنسا، وتوصل الطرفان إلى ابرام اتفاقية هدنة في شهر سبتمبر 1698م، مهدت ارسال سفارة مغربية إلى لويس الرابع عشر،وايقاف الأعمال العدوانية بين البلدين[1].

2- المفاوضات المغربية الفرنسية ونتائج السفارة:

في يوم 16 فيفري1699م أذن الملك الفرنسي بمقابلة السفير ابن عائشة لقصر فرساي، وبعد مراسيم الاستقبال، القى السفير التحية وخطابه ابدى فيه المولى اسماعيل رغبة في اعادة العلاقات السلمية بين البلدين[2]، وفي 26 فيفري بدأت المفاوضات الرسمية بين الطرفين حيث عرض المفاوضون الفرنسيون على ابن عائشة بعض بنود اتفاقية الحاج محمد تميم سنة 1682م، مع بعض التغييرات الطفيفة فيما يخص مسألة افتداء الأسرى[3].

وفي خطوة لتأثير على ابن عائشة في المفاوضات، عمد الفرنسيون على برمجة عدة زيارات لمعالم أثرية، اين زار متحف اللوفر وكنيسة نوتردام، والمطبعة الملكية ، ودار الأوبران،وشاهد بعض العروض المسرحية، و كل هذا لم تكن سفارته مرحباً بها في الوسط الشعبي الفرنسي، وقوبلت باحتجاجات عدوانية ضد الوفد المغربي[4]

تعثرت المفاوضات بسبب إدخال منطقة جبل طارق ضمن المنطقة التي يشملها الاتفاق، والتي تكون خالية من أي أعمال القرصنة بين البلدين،وأكد على ضرورة ان الرعايا الفرنسيين المأسورين من طرف المغاربة غنيمة وحق لهم، وان المغرب لا يمكنه الامتناع بتسليح السفن الاسلامية التي ترسوا في موانئه وهي معادية لفرنسا[5].

---

(1) فهد بن محمد السويكت: المرجع السابق ، ص 67.

(2) نفسه، ص 55.

(3)أحمد الأزمي: المرجع السابق،ص75.

(4) نفسه، ص57.

(5) فهد بن محمد السويكت: المرجعالسابق،ص63.

4- مولاي اسماعيل ومشروع الزواج بالأميرة دي كونتي(La princesse de Conti):

في اطار مساعي المولى إسماعيل لتوطيد العلاقات مع الملك لويس الرابع عشر، طلب خطبة الأميرة دو كونتي عن طريق سفيره عبد الله بن عائشة،والظاهر أنّ المولى اسماعيل أعجب بحسن وجمال الأميرة، بحسب ما رواه وحكاه له سفيره ،حين استقبله لويس الرابع عشر في 16 فيفري1698م،وقابل على اثرها الأميرة فروى لسلطان حسنها وجمالها[1].

وظاهر أن المولى إسماعيل بقيت فكرة هذا الزواج تراوده طيلة حياته، بالنظر لقيمته السياسية وحتى الاقتصادية والدبلوماسية في توطيد روابط العلاقات والتحالف بين الدولتين.

5- نتائج سفارة عبد الله ابن عائشة:

لم يكتب لسفارة ابن عائشة النجاح دبلوماسياً، لأنّ وزراء الملك لويس الرابع عشر،كانوا يريدون دفع السفير ابن عائشة للتوقيع في بنود معاهدة كانت في صالح فرنسا، ولا تختلف في محتواها على معاهدة سان جيرمان1682م،بالرغم من أن السفير المغربي كان يحمل تفويضا من المولى إسماعيل[2]. ومن العوامل التي أسهمت في إخفاق هذه السفارة هي:

– مشاعر العداء التي يكنها المفاوضان الفرنسيان طورسي و موریاس، اللذان لم يكونا في المستوى، لجهلهما بالشؤون الإفريقية والمغربية على الخصوص، وكانا يتعاملان مع السفير باستعلاء.

– اعتقاد الفرنسيين أنّ ابن عائشة ليست له كل الصلاحيات الكاملة من مولاي اسماعيل في امضاء أي اتفاقية مع فرنسا[3].

– نجاحه في تأسيس شركة تجارية "سلا " بالمغرب مع التاجر الفرنسي " جان جوردان" والتي سيجني السفير المغربي مكافآت مادية نظير المساعدة التي قدمها لتاجر الفرنسي[4]. ولم تثمر هذه السفارة أي

---

(1)Paul Masson: **Histoir des établissements et du commerce Français dans l'Afrique Barbaresque (1793-1560),** Paris 1903, p219.

(2)Penz Charles: **Les Captifs français du Maroc au XVIIe siècle** (**1699–1577**), Publié par l'Institut d'études marocaines, Rabat, 1944, p258.

(3) أحمد الأزمي: المرجع السابق،ص76.

(4) فهد بن محمد السويكت: المرجع السابق،ص94.

شيء يدعم العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين، بل ازداد التوتر بعد هذه السفارة نتيجة الأوامر الصادرة من البحرية الفرنسية باستئناف الحرب ضد السلاويين، وحالة الصمت المتعمدة من لويس الرابع عشر،بعدم الاجابة على رسائل مولاي اسماعيل الثلاثة في الشهور الاخيرة من سنة1699م، التي حاول فيها السلطان المغربي توضيح موقفه من نتائج سفارته[1].

ثالثا: مرحلة القطيعة والجمود الدبلوماسي1700م/1727م:

بعد فشل سفارة عبد الله بن عائشة إلى البلاط الفرنسي،تأزت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين،فدخلا في مرحلة جمود وقطيعة دبلوماسية دامت سبعا وعشرون سنة، تميزت بالتوتر المستمر، بسبب انشغال العاهلين بمشاكلهم السّياسية، والعسكرية، إضافة إلى الدسائس والمناورات السياسية لبعض الدول الأوروبية، وسوء التفاهم الحاصل بين التجار الفرنسيين ورعايا المولى إسماعيل[2].

ساءت أجواء التوتر والقطيعة بين المغرب وفرنسا،لظهور قوى جديدة منافسة لفرنسا وهي بريطانيا، التي سعت جاهدة لربط علاقات متينة وقوية مع المولى إسماعيل، لتكون البديل الأنسب للسلطان المغرب بعد انسحابها من مدينة طنجة سنة1684م[3] ،وتوّج هذا الانفتاح السياسي والدبلوماسي بإبرام معاهدة سنة1721،هذا التقارب السياسي أزعج الفرنسيين، فعملوا بكل جهد لإعادة العلاقات مع المولى إسماعيل وتطبيعها وتحسينها من جديد، غير أنّ مساعيهم لم تؤت نتائجها وبائت بالفشل[4].

يرجع الفضل في إرجاع العلاقات المغربية الفرنسية إلى قنصل فرنسا بقادس السيد "بارتيي"**(party)** ،وقنصل جنوة بجبل طارق السيد "جان باتيست ستورلا"**(p. Sturla)** الذي كان يرعى مصالح بريطانيا في نفس المدينة[5].كانت الرغبة الفرنسية جادة في اعادة فتح الحوار من اجل

---

(1) أحمد الأزمي: المرجع السابق،ص77.

(2) نفسه، ص97.

(3) younes Nékrouf: Op.cit., p375.

(4) أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص 98.

(5) نفسه، ص119.

برط العلاقات من جديد، غير أنّ كِبَر سّن المول إسماعيل، ومرضه، وظهور حالات التمرد في البلاد منعت من إعادة العلاقات[1].

رابعا: السفارات الفرنسية إلى الاراضي المغربية:

1- سفارة " دوسانت أمان (Saint Amans) عام 1682م:

جاءت هذه السفارة رداً على سفارة محمد تميم على فرنسا، بهدف الحصول على موافق المولى إسماعيل على معاهدة سان جيرمان، التي كانت معظم بنودها لصالح فرنسا، حيث نصّت التعليمات التي تلقاها دوسانت أمان بأن يعدّ لائحة بالأسرى الفرنسيين الموجودون بالمغرب، ويبعث بها إلى لويس الرابع عشر، لكن هذا الأخير لم تكن له نية في تحرير الأسرى المغاربة؛ فحاول بشتى الطرق لمراوغة والتهرب من مناقشة الموضوع، بدعوى أنه لم يرخص له بالتفاوض في هذا البند. [2].

وقد كان لويس الرابع عشر يهدف في افتداء الأسرى مقابل مبلغ من المال، مع رفض حل مسألة الأسرى عن طريق التبادل أسير بأسير، لأن هذا يفرغ سفن فرنسا من المجذفين المغاربة. وبدأت المفاوضات بين الطرفين، فأبدى كل طرف تشبثه بموقفه في شأن تبادل الأسرى، لتفشل المفاوضات بسبب موقف الفرنسيين بشراء الأسرى، والمغاربة في مبادلتهم[3].

- نتائج السفارة:

بدأت المفاوضات بقيادة كل من " علي معنينو" و" محمد تميم" والسفير "دوسانت أمان"، تطرق من خلالها الطرفين الى بنود معاهدة سفارة محمد تميم السابقة، حيث طلب المفاوض الفرنسي افتداء الاسرى بالمال، وهذا ما لم يلقَ قبول الطرف المغربي الذي يرى تبادلهم راسا برأس، وكانت نية

---

(1) أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص 122.

(2) نفسه، ص ص 41-42.

(3) E.Rouard de Card:**les Traités Entre la France et Le Maroc**, étude historique et juridique, a pedone ed, paris1898, p19**.**

لويس 14 من هذا اخفاء الأسرى المغاربة عين أعين سفراء المولى إسماعيل كما حدث مع السفير محمد تميم[1].

بعد أن وصلت المفاوضات إلى باب مسدود، عبر مولاي إسماعيل للسفير الفرنسي عن حرصه للمحافظة على السلم مع فرنسا، وأنه مستعد للمصادقة على المعاهدة إذا قَبِل مبادلة الأسرى رأسا برأس بدل الإفتداء، ورداً على الهدايا التي بعث بها لويس14،فقد قرر السلطان تحرير عشرين أسيرا فرنسياً، وبموجب المعاملة بالمثل لم يرخص له بشراء الخيول المغربية ولا حتى يرى الأسرى الفرنسيين مثلما لم تسمح فرنسا للسفير محمد تميم برؤية الأسرى المغاربة في فرنسا [2].

يبدو أن رغبة كل من المولى إسماعيل ولويس الرابع عشر كانت تمتين علاقات البلدين، لكن سوء التفاهم بينهما حول كيفية ايجاد حل ناجع لمسألة الأسرى أثر تأثيرا سلبيا على مستقبل العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وفرنسا إلى حد بعيد[3].

2- سفارة "بيدو دوسانت أولون (pidou de Saint OLon)"1693م:

أ) أسباب السفارة:

حَلَّ " بيدو سانت أولون(**pidou de Saint Olon**)بالمغرب في جوان 1693، وهو معروف ببعثاته الدبلوماسية، ولم تكن له أي معرفة بشؤون المغرب[4]، وكان في استقباله السفير محمد تميم، كانت مهمته إعطاء دراسة شاملة وكاملة حول المغرب، وأقاليمه الجغرافية، وقواته وعاداته وتقاليد الأهالي، وعن أحوال التجارة وشخصية المولى إسماعيل، بهدف إمكانية إحتلال المغرب، أيضا مفاوضة الطرف المغربي بخصوص بنود معاهدة 1682م، خاصة ما البند السابع المتضمن مسألة الأسرى[5].

---

[1] أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص45.

[2]Rabih Saïd: Op.cit, p57.

[3] أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص47.

[4] نفسه، ص46.

[5]Leo Godard: Op.cit, p519- 520.

ب) المفاوضات والنتائج:

بعد مظاهر الاستقبال السفير الفرسي من قبل "محمد بن حدو" الذي تحدث بالعربية ثم ترجمت كلمته الى الفرنسية، ليأتي الدور على السفير "دوسانت أمان" وألقى خطابه باسم لويس الرابع عشر أشار فيها الى الأسرى المغاربة في فرنسا، وإلى مشروع السلم والتحالف[1].

كَلّف المولى إسماعيل القائد "محمد بن حدو" بمفاوضة شروط معاهدة السلم مع السفير الفرنسي ،وبدأت المفاوضات يوم12جوان1693م، حيث وافق المفاوضون على كل بنود المعاهدة، باستثناء البند05و07، فالبند الأول يتعلق بالتوافق والتحالف ضد القراصنة الجزائريين التونسيين والطرابلسيين وهذا يثير إشكالية من الناحية الدينية[2] ،الذي يحرم تحالف دولة إسلامية مع أخرى مسيحية ضد دولة إسلامية، وأما البند الأخر المتعلق بالأسرى أبلغ احمد بن حدو مفاوضه إستحالة قبول افتداء بالمال والمبادلة لحل الأسرى[3].

ودّع السفير الفرنسي السلطان المولى إسماعيل يوم19جويلية1693م، حيث يرجع البعض سبب سفارة "دوسانت أمان" إلى تنافس النائب علي بن عبد الله، الذي حرص على توقيع الاتفاقية، وبين القائد محمد بن حدو الذي كان يعارضها، إضافة إلى أمر اخر يتعلق بالتحالف ضد الإسبان وتحرير ثغر سبتة، إلا أن المفاوضات انتهت بالفشل[4].

---

[1] جلال يحي: المرجع السابق، ص 134.

[2] Rabih Saïd: Op.cit, p58.

[3] أحمد الأزمي: المرجع السابق،ص58.

[4] عبد الهادي التازي: المرجع السابق، ج9،ص 78.

المبحث الثالث: دور القناصل والمراسلات في إرساء السلم والوئام.

شكّل موضوع التمثيل الدبلوماسي بين العالم الإسلامي والدول الاوروبية، وعدم وجود هذا التمثيل في أوروبا ،جدلا واسعا لدى الباحثين والمؤرخين، ومنهم من يرجعه إلى عدة أسباب أهمها:

– أن الشرع الإسلامي أولى عناية خاصة بالعلاقات السياسية بين المسلمين وغيرهم، وإذا كان المسلمون يعتبرون أوطانهم "دار سلم وأمان" وما دونها "دار حرب وكفر"، وبذلك اعتبروا السفر إلى دار الحرب مكروها، حتى ولو كان من أجل التجارة[1].

– أما عن تواجد التمثيل الأوروبي الكبير في الدول الإسلامية، فذلك مرده إلى مفهوم "دار العهد" عند الفقهاء المسلمين أو " عقد الآمان" بغير المسلمين، مما سهل وساعد في تطوير العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين الدول الإسلامية والمسيحية بإعتبارهم معاهدين[2].

– غياب قانون الآمان لدى الأوروبيين للمسلمين، الأمر الذي أحدث عدة تجاوزات بحق التجار والسفراء، بتعرضهم للأخطار والقتل، كما حدث للوفد الجزائري في مرسيليا سنة1620م، فحياة هؤلاء كانت معرضة للخطر في أي وقت، وهذا بسبب أن العالم المسيحي يعتبر نفسه نظاما سياسيا دينيا معاديا للإسلام ورافضا لأي نوع من التعامل على أراضيه[3].

إنّ حالة الصراع بين المغرب (دار الاسلام) وأوروبا (دار الحرب) شكلّت مانعا عسكريا وسياسيا، دون تواجد المغاربة بتلك الديار، فالسفارات المغربية يتم تحريكها في بعض الفترات وبمهام محددة، الأمر الذي جعل أغلب التجار المرسلين في مهار تجارية إلى أوروبا من اليهود دون غيرهم ونادرا ما يكونوا مسلمين[4].

---

(1) محمد بكور: **آليات الدبلوماسية المغربية ومسألة التجاوز**، مقال منشور في مدونة تجريبية، يوم السبت 2 مايو 2015 ،في يوم 2019/04/24 بتوقيت11:20 http://histoiire-du-maroc.blogspot.com/2015/05/blog-post_2.html

(2) عبد الكريم زيدان: **مجموعة فقهية**،ط1، مؤسسة الرسالة،بغداد1982،ص177.

(3) جمال قنان: **معاهدات الجزائر وفرنسا 1610–1830م**، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، الجزائر2007، ص55.

(4) محمد بكور: المرجع السابق.

شكّل موضوع التمثيل القنصلي حيزا هاما في العلاقات المغربية الفرنسية، فقد اعتمد السلاطين المغاربة بعض الفرنسيين لديهم كوسطاء ، لدى البلاط الملكي الفرنسي، لتسهيل المهمات الدبلوماسية والتجارية وحل بعض القضايا، والمشاكل العالقة بين البلدين، لتكون الرسائل والمعاهدات الصيغة المعتمدة في التقارب بين البلدين وحل للكثير من المسائل العالقة كالأسرى والقرصنة.

أولا: مهام القناصل والدبلوماسيين الفرنسيين في المغرب الأقصى:

تركزت القنصليات الأجنبية والفرنسية خاصة في توزيعها الجغرافي على المراسي والموانئ، فقد كان القناصل والدبلوماسيون الفرنسيون أكثر عددا، وأطولهم مدة، فنجدهم في مراسي: سلا، تطوان، آسفي، وفاس، وكانت مهمتها تسهيل العمليات التجارية و الاقتصادية.

يعد تواجد القنصلية الفرنسية في المغرب من أقدم القنصليات الاجنبية، فقد كان تعيين أول قنصل فرنسي بشكل رسمي أيام السلطة السعدية قبّيل معركة وادي المخازن 986هـ/1578م[1]،واستمرت مع انقطاع(1630-1617م) إلى بداية القرن18م ،فقناصل فرنسا كانوا اكثر عددا وأكبر انتشارا من غيرهم، فقد بلغ عددهم ما بين سنة(1713-1577م) خمسة وثلاثين قنصلا، وانتشرت هذه القنصليات في تسع مدن مغربية، لتغطي كل القسم الغربي للمغرب[2].

كانت مهمة هذه القناصل تنظيم التجارة بشكل خاص، والوقوف على حسن سير العمليات التجارية مثل، تزويد التجار بجوازات المرور ومراقبة شحن سلعهم وإفراغها[3]،وقد نصت الوثائق في هذا الشأن، في رسالة من الولايات العامة إلى السلطان محمد الشيخ الأصغر أن هدف مبعوثها هو تنمية التجارة بين البلدين[4].

---

(1) زهراء إخوان: **بدايات آليات التدخل الأوروبي في المغرب والقنصليات الأجنبية في القرن السابع عشر**، في مجلة مكناسة، جامعة المولى إسماعيل،عدد11، مكناسة، المغرب1997،ص68.

(2) نفسه.

(3) Le Père Noel: **Les rapports de la France et du maroc.Etude d'histoir diplomatique et droit international**, paris1905. P26.

(4) زهراء إخوان: المرجع السابق، ص75.

وكان موضوع تحرير الأسرى الأوروبيين بالمغرب أحد انشغالات القناصل، فأغلب المراسلات الدبلوماسية بين ملوك فرنسا، وسلاطين المغرب تتمحور حول كيفية تحريرهم وتبادلهم[1].فقد اختلفت مهام هؤلاء المبعوثين الدبلوماسيين والقناصل، حيث تشير الوثائق أن القناصل يكلفون بمهمات دبلوماسية وأخرى قنصلية، ففي سنة1612م عقد القنصل الفرنسي كاستيلان باسم ملك فرنسا معاهدة سلام وصداقة بين المغرب وفرنسا، وكذا مهام تقديم التهاني والهدايا للسلاطين المغاربة كتهنئة القنصل براصول**(parasol)**للمولى اسماعيل بمناسبة توليه العرش سنة1672م[2].

إضافة إلى هذه المهام نجد مهمة التجسس السمة البارزة في عمل هؤلاء القناصل ،فبحكم اتصالاتهم وتحركاتهم وعلاقتهم بالناس والبلاط المغربي، يسهل عليهم جمع معلومات كبيرة عن المغرب، حيث ورد في رسالة أحد القناصل :"**أنه سيتعرف على أخبار المغرب بواسطة ابن أخيه الذي يَنُوب عنه في سلا، وسيبلغ "كولبير" ما يجري في هذه البلاد، ويبعث مذكرة حول أحداث المغرب**"[3].

تعتبر فرنسا من أوائل الدول الأوروبية الممثلة بصفة دائمة على الأراضي المغربية، سواءا عن طريق القناصل أو المبعوثين الدبلوماسيين، الذين أوكلت لهم مهام دبلوماسية في اطار ربط علاقات رسمية مع سلاطين المغرب، فقد عملوا على خدمة ورعاية مصالح التجار الفرنسيين ومصالح فرنسا في المغرب[4].ويرى المؤرخ الفرنسي أندري جوليان صاحب كتاب "تاريخ إفريقيا الشمالية بقوله:".. كان القناصل والتجار المسيحيون غالبا من المغامرين المنتفعين، يستثمرون ابناء دينهم وابناء البلاد على السواء، وكانت فرنسا أبعد الدول هدفاً، وأكثرها نفوذا، وأشدها صولة وطمعا في المغرب..."[5].

---

(1) أحمد بلفريج: **اهتمام ملوك المغرب بالفداء**، في مجلة المغرب،عدد14،الرباط1934،ص3.

(2) زهراء إخوان: المرجع السابق، ص76.

(3) نفسه، ص77.

(4) عبد العزيز بنعبد الله:**السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ**،المعهد الوطني للدراسات القضائية،الرباط1985م،ص63.

(5) عمر توفيق كمال: **الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين**،ط1،مركز الإسكندريةللكتاب،الإسكندرية1998،ص18.

ثانيا: القناصل الفرنسيين في التراب المغربي(1659م–1718م):

كما أشرنا سابقا أن تركز القنصليات الفرنسية كان في أهم المدن المغربية، الساحلية والداخلية منها،فقد كانت مدينة سلا الأكثر عددا في تواجد هؤلاء القناصل الفرنسيين ونذكر منهم:

أ)–قنصلية بيار ستيراني (pierre Citrani):

صدر تعيينه في 9مارس1650م،لكن ديوان سلا لم يعترف به الا بعد مدة ،لأنه لم يقم بمهامه ، بسبب كثرت شكاوي التجار منه، فصدر امر إعفائه من مهامه وغادر سلا [1].

ب)أنطوان جوليان براصول(A.J.parasol) 1653–1671م:

عرفت قنصليته عددا من المشاكل بفعل عدم الإتفاق مع التجار الفرنسيين، ومن أهم ما قام به تمكنه من الحصول على حق بناء مصلى في القنصلية مع حق إقامة الشعائر الكاثوليكية فيه.

ج)–براصول فرانسوا جوليان(parasol jilien Françoise) 1671-1672م:

هو ابن اخ القنصل السابق ، عُيّن مكانه سنة1671م، وقد واجه عددا من الصعوبات في تعامله مع التجار الفرنسيين، واستمر في عمله إلى ما بعد سنة1672م[2].

د)– قنصلية بيريلي (perillié)1685–1689م:

عين في أواسط سنة1685م/، وقد سلم له السلطان مولاي إسماعيل براءة اعتماده كقنصل لفرنسا في سلا بتاريخ 11 أفريل 1685م ، وأظهر القنصل للمولى اسماعيل ان مهمته هدفها تنمية التجارة بين البلدين ،وقد استمر في مهمته إلى ما بعد سنة1686م ،حيث نجده يتدخل في مشاكل مترتبة عن القرصنة[3].

---

[1] زهراء إخوان: المرجع السابق، ص78.وللمزيد ينظر الملحق رقم01

[2] نفسه، ص79.

[3] Henri de Castries: **Sources inédites Histoire du Maroc, deuxieme série, Dynastie Félalienne**, Archives et Bibliothèques de France, T I, Paris, 1924, p425**.**

هـ) قنصلية جون بابتيست إيستيل(J.B.Estelle) 1689–1701م:

كان إلتحاقه بسلا يوم09فيفري1689م، ومارس مهامه إلى ديسمبر1701م، لكن السلطان أمره بمغادرة المغرب، لما ثبت عليه تسليمه معلومات للأسطول الفرنسي حول تحركات السفن الجهادية في سلا[1].

في مدينة **تطوان:**

أ) قنصلية بوايي دي كسيس(Boyer Toussani de Cassis):

تاجر فرنسي إقام في تطوان، عينه السفير "سانت أمان" نائبا للقنصل في المدينة، وظل في منصبه الى سنة1683م.

ب) بوايي أنطوان(Boyer Antoine) 1705–1711م:

عمل في منصب نائب القنصل من سنة1705مإلى سنة1711م بتطوان، عمل جاهدا لتسوية العلاقات التجارية بين المغاربة والفرنسيين، اعترض اصحاب النفوذ من الطرفين طريقه في مسعاه هذا، ولقي معارضة شديدة منهم، فأدى به الى الانسحاب[2].

ج) قنصلية دي فاتري(De vatry)1703م–1705م:

خلف بيير استيل في قنصلية تطوان، حيث ألتحق بمقر عمله يوم13ماي1703م،حيث تجدر الإشارة إلى أن الحكومة الفرنسية قد سبق وان عينت في تطوان يوم07فيفري1703م المدعو"**Maillet** " الذي توفي وهو في طريقه الى تطوان، ولم تطل مدة اقامة دي فري بهذه المدينة ، حيث توفي سنة1705م[3].

---

(1)Henri De Castries: Op. Cite, T1, p2.
(2) Ibid, p88.
(3) Henri De Castries: Op. Cite, T4, p278.

د) قنصلية ما كدولين(Pierre de la Magdeleine):

عينته فرنسا في مدينة تطوان، وطنجة لمدة ثلاثة سنوات، واستمر في منصبه الى سنة1718م تاريخ الغاء القنصلية في سلا، ولم تفتح القنصليات الا في سنة 1768م[1].

أما في مدينة **المزَمَّة**[2] نذكر القناصل الموجودين فيها:

أ) قنصلية لامبير(Lambert):

عينه الوزير "مازران" الذي يعتبر المؤثر في القرارات السياسة الخارجية لفرنسا، فتم تعيينه كقنصل فرنسا في المزمة.

ب) قنصلية فريجوس (Rocard Fréjus):

من عائلة**(Morene)** في مدينة مارسيليا، التي اشتغلت بالتجارة، وحرصت على توسيعها في الخارج، وهي من أشهر العائلات في مارسيليا المهتمة بالأعمار التجارية، تم تعيينه قنصلا في مدينة المزمة التي شهدت بها حركة تجارية كبيرة[3].

أما مدينة طنجة التي نجح المغاربة في تحريرها من سيطرت الحامية الإنجليزية في 5أفريل1685، تواجد فيها قنصليات فرنسية بعد ذلك، فكانت **قنصلية بيير استيل(Pierre Estille)** وهو من نبلاء منطقة "بروفانس" عين على رأسها في نفس الشهر، الا أن حالة التخريب والدمار الذي ألحقه الإنجليز بالمدينة، ألزمته بالإقامة في تطوان[4].

في الوقت الذي لعبت فيه القنصليات تسهيل المهمات الدبلوماسية وحل بعض القضايا، والمشاكل العالقة بين البلدين، كانت المراسلات الدبلوماسية بين البلاط الملكي المغربي والفرنسي، شكل من

---

(1)Henri De Castries: Op. Cite, T1, p610.

(2) مدينة واقعة فوق جبل صغير على ساحل البحر المتوسط في الشمال الغربي للمغرب، محاذية لسهل نكور، ويرى الأستاذ محمد الفاسي أن المزمّة هي مدينة الحسيمة الحالية. يُنظَرُ، حسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا**،ط2،تع محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983،ج1،ص328.

(3) Henri De Castries: Op. Cite, T1, p90, 93.

(4) Ibid, T2, p484.

أشكال التواصل الدبلوماسي في التقارب بين البلدين، وحل للكثير من المسائل العالقة كالأسرى والقرصنة.

ثالثا: مراسلات مولاي إسماعيل إلى البلاط الفرنسي:

تنضوي المراسلات المولى اسماعيل في إطار ما يصطلح عليه بالرسائل الديوانية، حيث تتكون من البسملة والحمد لله والسلام، والبعدية(أما بعد) ثم يلي موضوع أو محتوى الرسالة، وأما الخاتمة تتكون من التاريخ الإرسال والختم الملكي، ولم يعتمد المولى إسماعيل الإمضاء اليدوي واعتمد بدله الطابع أو الختم، بشكله الدائري مُذَهَّب وكتب في داخله الآية "**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**"،وإسم السلطان يتوسط الختم [1].

وأجوبة طبيعة العلاقات أن توجد عدة صيغ ونماذج لتلك المراسلات بمواضيع مختلفة جاء منها كالآتي:

أ) رسائل متعلقة بشؤون التجارة والسياسة وافتداء الأسرى:

صدرت مجموعة من الرسائل من المولى إسماعيل نذكر منها رسالة مؤرخة بتاريخ 09شعبان1095هـ/08جويلية1684م،جاء فيها:"... **فأعلم أن الذي ظهر لنا أنك ليس عندك قول صحيح ، ولا كلام رجيح، ولا أظنك إلا غلب عليك أهل ديوانك وصاروا يلعبون بك كيف شاءوا.... ودليل ذلك أننا ما زلنا ما قبضنا منك صحة قول ولا أبرمت معنا شيئا... وأنت لازال لم يصح منك قول ولا وفاء.. ثم بعد ذلك قدم لعلي مقامنا صاحبكم(دي سان أمان) وأتانا بشيء من الخرق ... ومع ذلك أعطينا لصاحبك عشرين نصرانيا...**". يتبين في محتوى الرسالة عدم استجابة الملك الفرنسي للسلطان المغربي في قضية اسرى المسلمين وتحريرهم، حيث كان احتجاجه علية شديد اللهجة، بقوله أن ديوانه لم يوصلون له المعلومات الصحيحة[2].

أم ثاني رسالة فكانت بتاريخ 15 ربيع الاول1093هـ/23مارس1682م،جاءت فيها:"...**ما زلت ما صح منك قول ولا أبرمت معنا شيئا وإذا أردت تثبيت المهادنة وابرام الكلام فيها**

---

[1] Younes Nékrouf: Op.cit., p124.

[2] للمزيد في شأن الرسالة يُنظرُ عبد الله العمراني: **سياسة مولاي إسماعيل الخارجية**، في مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط 1965، العددان4و5، ص ص285-300.

وامضاء حجتها فابعث لنا من عندك قنصولا(نقلتها كما كتبت في المرجع) **ونبرم معه هذا الأمر... فبعد السلام والتحية بلغنا أنك أنت من سلالة عظيم الروم الذي كتب له جدنا وسيدنا فلا نرضى نحن أن يكون كلامنا الا معك قابض على امرك وكلام طاعتك... في اليوم الذي يصل اليك الباشدور من عندك فلا يعود الا بما يسرك ويرضيك ولا لك عندنا إلا ما تريده وتشتهيه في خاطرك والسلام..."**[1]. هذه الرسالة يبدي فيها مولاي إسماعيل ايجاد حلول والتوصل الى مفاهمة ترضي الطرفين في المشاكل والقضايا العالقة بينهما.

ب) رسائل يدعوا فيها المولى إسماعيل بالدخول في الإسلام:

يظهر أن المولى إسماعيل أرسل إلى عدة ملوك أوروبيين من فرنسا وإسبانيا والبرتغال وإنجلترا، دعاهم فيها إلى اعتناق الإسلام، وهذا ما يصرح به السفير الفرنسي "دو سانت أولون" في وصف هذا السلطان قوله:" ... ويدعو المسحيين إل الدخول في الإسلام، أين صدرت منه عدة رسائل بذلك إلى ملوك أوروبا..."[2]. وجاء نموذج هذه الرسالة كالآتي:

رسالة مؤرخة في 02رمضان1092هـ/15سيتمبر1681م،حيث أبلغ السلطان مولاي إسماعيل لويس الرابع عشر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أرسل خطابا إلى هرقل يطلب ما إذا كانت هذه الرسالة موجودة في قصوره أم لا.ونصّت الرسالة مايلي:"... **أدعوكم إلى دعاية الإسلام، وتعتنق نفسك...ستؤجر مرتين.. فإذا رفضت فإنك ستكون من الآثمين، أفعل ما تشاء.. أدعوك إلى الأيمان بالكتب السماوية، والإيمان بالله الواحد الأحد، الذي لا شريك له والله شاهد علينا، اننا دعوناك إلى الإسلام.. أما مسألة الأخرى هي معرفتي بحقيقة انك من نسل عظيم الروم هرقل..."** [3] ،ليأتيه رد الملك الفرنسي بدعوته إلى اعتناق الديانة المسيحية.

---

[1] ينظر في شأن الرسالة عبد الرحمان بن زيدان: المرجع السابق- ص200-204.وللمزيد ينظر الملحق رقم02.

[2] عبد الله العمراني: المرجع السابق، ص288.

[3] عبد الهادي التازي: المرجع السابق،ج1،ص218.

ج) مراسلات لويس الرابع عشر إلى السلطان مولاي إسماعيل:

جاءت رسائل لويس الرابع عشر في إطار السياسة العامة للبلاط الفرنسي في القرن 17م،الذي يمثل سياسة الغطرسة، حيث بدأ واضحا أن فرنسا كانت هي التي تتحكم في المبادرات الدبلوماسية، بما ذلك كتابة الرسائل التي كان يبعثها بواسطة مبعوثيه أو قناصله بالمغرب[1].

وعمل لويس الرابع عشر إلى توليه أهمية كبرى لمسألة المترجمين، وكان يفرض إجراءات صارمة على هؤلاء، وقد كلف **"Pierre depy d Ale"** بترجمة بعض الخطابات من العربية إلى الفرنسية[2] ومن الأعمال الجريئة التي اعتمدها البلاط الفرنسي، هو الحصول على نسخا من رسائل مولاي إسماعيل المرسلة إلى كل من هولندا و إنكلترا، بواسطة قنصله في مدينة سلا "**J.B.Estelle**" وجاءت هذه الرسائل ضمن حماية مصالحه التجارية [3].

جاءت الرسالة المؤرخة في 13أوت1672م، المتعلقة بالتهنئة وحرية التجارة والسياسة، التي تتعلق بالعلاقات الدبلوماسية بين البلدين، والتي جاء فيها:"... **قد بلغ إلى مسامعنا خير جلوسكم على عرش الملك، وما انتم عليه مس حسن معاملة تجار النصارى في مملكتكم وما سهلتموه للرهبان... وقد وجهنا مع السفير عشر من أسرى المسلمين وكلفناه بمبادتهم بعشرة من أسرى النصارى الموجودين عندكم... غنني على يقين بانكم أعطيتم الاوامر لجندك بإعطاء حرية الإقامة في التجارة لرعيتنا وهذا ما يزيد في روابط المحبة بينا وبينكم...**".

أما الرسالة الثانية، تتعلق بسفارة محمد تميم والعلاقات السياسية والدبلوماسية، وكانت بتاريخ 12فيفري1682م، جاء فيها:"... **قد بلغنا كتابك المؤرخ في الثلاثين جويلية عام 1681م، فقد ذكر لنا سفيركم الحاج محمد مما أمرتموه به حقق لنا بأن مرادكم الأصدق هو إعادة المهادنة بيننا... فلا نشك في ذلك... وأما سفيركم فقد قام بكل ما أمرتموه به...**" [4].

---

(1) Henri De Castries: Op. Cite, T2, p50.
(2) Younes Nékrouf: Op.cit., p89.
(3) Ibid, p215.
(4) Henri De Castries: Op. Cite, T2, p632.

يتضح من هذه الرسالة أن الملك الفرنسي قد وافق على ما جاءت به اتفاقية 1682 بقيادة السفير محمد تميم، بدليل عبارات الشكر والإجلاء التي استعملها لويس الرابع عشر في مدحه لمولى اسماعيل، والاستقبال الجيد لسفيره التي وجدها في فرنسا، لكن في حقيقة الأمر ان بنود الاتفاقية وقعت كانت كلها تصب في صالح الطرف الفرنسي ، وهذا ما رفضه السلطان المغربي.

المبحث الرابع: التبادل التجاري وربط المعاهدات 1672م–1727م.

إهتم المولى إسماعيل بالتجارة واعتبرها مورداً هاما ،وبديلا عن القرصنة، فقد كانت تذّر عليه كميات كبيرة من الأرباح والمداخيل لخزينة العامة، أين بلغت10%من الواردات ومن 20%الى 25%من الصادرات، أهم الصادرات نحو فرنسا هي الشمع، وزادت واردات سلا وتطوان أضاف كبيرة حيث كان هذان الميناءان انشط موانئ المغرب[1].

أبدى مولاي إسماعيل استعدادا لإقامة علاقات وثيقة مع فرنسا، ومنح تجارها امتيازات تجارية واسعة، و تأمين حمايتهم، وبسبب الظروف الصعبة التي أعقبت مرحلة الجمود والقطيعة بين البلدين، أمر الملك الفرنسي سنة1687 بحضر التجارة مع المغرب، ليعاد رفهما من جديد في أكتوبر1688م، وبقيت التجارة سائرة ورائجة رغم حالة القطيعة الدبلوماسية في العلاقات[2].

ضِمْن سفارة "دو سانت أولون" التي وجهها لويس الرابع عشر إلى المغرب، جاء طلب تحالف المغرب مع فرنسا ضد إيالة الجزائر، وهذا ما رفضه المولى إسماعيل في تحالف دولة مسيحية ضد دولة مسلمة، ومسألة الأسرى التي شكلّت احدى القضايا الشائكة بين الطرفين[3].

ورغم زيادة العمليات التجارية الفرنسية في المغرب وتوسعها، لم يثني هذا من تنامي وتوسع الجهاد البحري المغربي، على حساب السفن الاجنبية والفرنسية خاصة، الأمر الذي عَكَّر طبيعة العلاقات بين الطرفين، فما كان على السلطان الفرنسية اتخاذ اجراءات دفاعية ضد هذه العمليات[4].

---

(1) محمد علي عامر ومحمود خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث**(المغرب الأقصى، ليبيا)، المرجع السابق، ص98.

(2) Raymond thomassy:**Le Maroc et ses caravanes,ou Relations de la France Avec cet empire**,ed 03.librairie de charle douniol,paris 1859,p

(3) R.Thomassy**:le Maroc Relation de la France**, avec cet Empire, paris1859, pp151-152.

(4) Ibid, p156.

1- الاتفاقيات والمعاهدات بين الدولتين:

سعى المغرب وفرنسا في ايجاد طرق وحلول تساعدهما في تفادي الصراع ،فقد كانت الاتفاقيات والمعاهدات سبيل الأمثل لتفادي أي صدام بين البلدين، وإرساء التفاهم الرامي لتطوير العلاقات المشتركة بينهما.

بعث البلاط الملكي الفرنسي، الأميرال" شاطو رونو" بأسطول بحري إلى السواحل المغربية في 26أوت1681م، لحصار ميناء سلا والشواطئ المغربية، وكذا مفاوضة القائد " عمر بن حدو" ويخبره رفضه المصادقة على معاهد 13جويلية1681م، ويأمره بمواصلة الحرب ضد السلاويين حتى القضاء عليهم ، أو يطلب سلطان المغرب السلم وبشروط مقبولة[1].

أمام هذه الظروف ، وسعي الطرف المغربي في الدخول في مفاوضات مع المبعوث الفرنسي، للحد من الهجمات العدوانية المتتالية، وقع "شاطو رونو" مع القائد " عمر بن حدو" اتفاقية في جويلية1681م، ثم مفاوضات مع مبعوث اخر هو" ولوفر دولابار في مدينة المعمورة بتاريخ 13جويلية1681[2].

جاءت هذه المعاهدة إطار السلم بين المغرب وفرنسا، ونصت على حماية سفن الطرفين والتحالف ضد الإيالات المغاربية الاخرى واعدم تقديم يد المساعدة والعون لهم، كما أعطت الحق للقناصل الفرنسيين، واماكن إقامتهم، وتقديم جوازات سفر لتجار الفرنسيين ومساعدتهم في مهامهم، وحرية اقامة الشعائر الدينية بالنية للمقيمين بالمغرب، اضافة الى ابرام علاقات تجارية وسياسية بين الدولتين[3].

---

(1) Rabih Saïd : Op.cit,p40

(2) Rqimond thomassy:**lemaroce, relation dela France aveecet empire**, ed, 03, lidrairie de charle douniol;paris, 1859, p133.

(3) زهراء إخوان: المرجع السابق، ص73.

2- المعاهدة الفرنسية المغربية سنة1682م:

جاءت إثر سفارة "الحاج محمد تميم" الى البلاط الفرنسي، أواخر سنة1681م،رغم رفض السلطات الفرنسية تعديل بنود المعاهدة السابقة، فقد جاءت رسالة "كولبير" بتاريخ 28أوت1681م إلى الفارس **"Lefebvre de La Barre"** أن ملك فرنسا برفض المصادقة على تعديل اتفاقية 13جويلية1681م، وذلك إثر مجيئ السفير " الحاج محمد تميم" الى البلاط الملكي الفرنسي، لتفاهم حول تبادل الأسرى ومشكلة القرصنة وتوقيفها[1]،أما عن بنود وفحوى المعاهدة[2] فقد أبرمت هذه المعاهدة في 29جانفي1681 وضمت على عشرين بنداً.

احتوت المعاهدة بعض البنود التي رفضها الطرفان، خاصة البند "5و7" المتعلقين بالتحالف ضد الجزائر وتونس وطرابلس، والرغبة في حل مشكلة الأسرى وافتدائهم، يضاف كذلك عدم تطبيق الطرف الفرنسي لبنود هذه الاتفاقية، والمعاملة السيئة التي قوبل بها السفير المغربي، وكذا ضعف شخصية محمد تميم الذي وقّع على اتفاقية كانت كل بنودها لصالح الطرف الفرنسي واعطت لهم امتيازات كثيرة[3].

أثناء المفاوضات بين الطرفين والسفارات المتبادلة، كان حضور الجزائر الدائم، التي لم تغب في نقاشات المفاوضين، باعتبارها قوة إقليمية في المنطقة ، المهدد لمصالح المشتركة لكلا الطرفين، ووجب التحالف ضدها والتصدي لها، فكانت بدايات التحالف ضدها منذ حكم مولاي الرشيد، الذي حاولت فرنسا ربط معه علاقات دبلوماسية، لكنها باءت بالفشل، ليأتي حكم المولى إسماعيل1627/1672م، الذي أعاد عجلة الدبلوماسية مع الدول الأوروبية خاصة فرنسا، فقد تضمنت هذه المعاهدة مجابهة المدي الجهادي للإيالات المغاربية ومنها الجزائر[4].

---

(1) Rabih Saïd: Op.cit, p46.

(2) يُنظر في هذا الشأن: أحمد الأزمي : المرجع السابق، ص ص19-23.

(3) Henri De Castries: Op. Cite, T5, p8.

(4) Ferdinand de cornot cussy: **Recueil de straités de commerces et de navigation de la France**, paris1835, p90.

ومجمل القول:

– سعي فرنسا إلى ربط علاقات خارجية مع بلدان الضفة الجنوبية للمتوسط، لتنويع مصادر اقتصادها، فكان المغرب احد هذه البلدان الذي ربطت معه علاقات سياسية منذ بداية القرن 10/هـ/16م،لتتعمق اواصل هذه العلائق مع الفترة العلوية اكثر.

– أن العلائق السلمية بين المغرب وفرنسا تعددت أليا‌تها وقنواتها في فترة العلوية ،خاصة حكم المولى اسماعيل، وهذا راجع إلى طبيعتها، من المبادلات التجارية، **و**افتداء الأسرى وتحريرهم.

– شكل التمثيل القنصلي الفرنسي بالمغرب من اوائل الدول الأوروبية بصفة دائمة على الأراضي المغربية ليكون أحد أقدم التمثيلات الدبلوماسية وأطولهم مدة.

– أن أغلب القناصل كانوا من التجار الذين أرسلوا بمهمات مختلفة، لتقصي الاخبار والاوضاع السائدة بالمغرب وارسال تقارير مفصلة عنها لتكون مهامهم أشبه بالعمل التجسسي.

– كان تبادل الرسائل الدبلوماسية بين الطرفين السمة البارزة في حالة تعثر أي مفاوضات أو اتفاقيات لتكون هي السبيل في ايجاد حلول وتمديد فترة عملها ومضمونها.

– تعدد السفارات والبعثات الدبلوماسية الفرنسية إلى الاراضي المغربية، منها سفارة" سانت أولون" و "دوسانت أمان"، حيث سعت هذه السفارات في ربط معاهدات واتفاقيات مع السلطان مولاي إسماعيل، أو لتجديدها وفق ما يخدم مصلحة فرنسا.

– تعدد سفارات المغربية إلى البلاط الملكي الفرنسي، منها سفارة الأميرال" عبد الله بن عائشة" و"الحاج محمد بن تميم".

– تمحورت مضامين هذه البعثات حول قضايا الأسرى وكيفية تحريرهم، وزيادة المبادلات التجارية بين البلدين.

– شكلت العلاقات المغربية الفرنسية، ميزت في تنوع مظاهرها، ومسائل مشتركة ومتشابكة، ألزمت على عقد معاهدات واتفاقيات، وربط تحالفات ومشاريع زواج.

الفصل الثالث:

العلاقات السياسية العدائية بين المغرب الأقصى وفرنسا 1727/1672م.

المبحث الاول: الحملات الفرنسية على المغرب1727/1672م.

المبحث الثاني: دور الجهاد البحري والقرصنة في تأزم العلاقات.

المبحث الثالث: مسألة الأسرى وإفتدائهم.

بعد الفترة السلمية في العلاقات المغربية الفرنسية، أتى الدور على مرحلة الصدام والتشنج في العلاقات، بسبب الممارسات السياسية المتغطرسة التي عمل بها الملك الفرنسي لويس الرابع عشر اتجاه دول الضفة الجنوبية للمتوسط، وخاصة المغرب، وبالتالي توترت العلاقات، وسدّت أبواب الحوار والتفاوض بين الطرفين، على الرغم وجود آليات وقنوات للتواصل، وفي هذا الفصل سنعالج مظاهر هذه العلائق العدائية بين البلدين، فكانت دراستنا في المبحثين خصصنا كل واحد منهما على الحملات الفرنسية على المغرب، ودور الجهادي البحري والقرصنة في تأزم وتوتر العلاقات، والمبحث الثالث، في مسألة الأسرى وطرف افتدائهم.

المبحث الأول: الحملات الفرنسية على المغرب 1670–1728م.

بعد مرحلة الشد والجذب في العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، بين فترة السلم والوئام ليأتي الدور على مرحلة القطيعة والصدام في العلاقات، التي عكستها الحملات الفرنسية على المغرب نهاية القرن 11هـ/17م،فقد استعمل الملك الفرنسي لويس الرابع عشر سياسة الغطرسة اتجاه الدول المغاربية، ونظم ما بين فترة 1670م-1727م عدة حملات عسكرية على المغرب وموانئه سلا ونواحيه لإجباره على توقيع معاهدات السلم.

1- الحملات الفرنسية على المغرب1670–1728م:

أتت هذه الحملات العسكرية في ظرف كانت الدول الأوروبية تعيش فترة ازدهار في القوة البحرية ، التي شهدت تطورا ملحوظا، وكانت فرنسا قد عملت على تطوير أسطولها البحري مع قدوم الوزير كولبير، الذي سعى جاهدا على النهوض به لينافس الأساطيل الاوروبية الأخرى، وكذا حماية الطرق التجارية والمسالك البحرية.

أ) حملة الكونت جان دستري(Jean d'Estrées) سنة1670م:

نائب أميرال البحرية الملكية الفرنسية، وقائد على ستة سفن حربية من نوع القاليرات ذات الحجم الكبير، التي أرسلت سنة 1670م إلى ميناء سلا لمحاربة القراصنة والقضاء عليهم[1]،وفي 27أبريل كتب إلى لويس الرابع عشر يبرر فشل حربه مع القراصنة، كون الفرنسيين يملكون بواخر كبيرة بطيئة الحركة، عكس القراصنة الذين يملكون فرقاطات خفيفة، وكان القنصل الفرنسي بالمغرب هنري برات(**Henri Prat**) قد كتب إلى الوزير كولبير بتاريخ 10أكتوبر1671م بأن يضيف أربعة سفن خفيفة ومزودة باثني عشر مجدفا والمسلحة ب10إلى 12 مدفعا، وطاقمها مكون ما بين80 إلى100 رجل على متنها[2].

---

[1] روجي كواندرو: **قراصنة سلا**، تر محمد حمود، المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس،الرباط1991م،ص130.

[2]نفسه، ص131.

ب) حملة شاطو رونو(Château-Renault) سنة1671م:

في 5 أغسطس 1671م،أصدر الملك لويس الرابع عشر أوامر إلى شاطو رونو ،وسلمه سفينة "سانت لويس" و الفرقاطة العسكرية **"La friponnes"**،وأمره أن يغادر ضفاف نهر ضفاف نهر **Charente**،والذهاب إلى ميناء سلا**"Salé"** قبل ان تخرج منها سفن القراصنة[1]،استمر شاطو رونو في مواجهة القراصنة والحرب عليهم، وفي 14أفريل1671م قاد حملة مكونة من خمس قطع حربية كل واحدة تحمل من 14 إلى 65مدفعا،أين هاجمت السفن الحربية المغربية، بمساعدة خمسة عشرة قطعة تابعة لجون ديستري**(Jean D'estrés)** التي أغلقت ميناء سلا وما جاوره[2].

ج) حملة "شاطو رونو" الثانية سنتي 1680م–1681م:

عزم" شاطو رونو" معاودة القيام بحملة أخرى على مدينة "سلا"، مكونة من عشر سفن حربية، وتواجدت القوات امام المدينة لفرض شروط السلم الفرنسي، الأمر الذي جعل القايد" عمر بن حدو" يفاوض القائد الفرنسي، لم تنجح المفاوضات بين الطرفين، ومع تضاعف وزيادة نفقات الحصار اضطر القائد الفرنسي رفع الحصار ومغادرة الميناء[3].وفي سنة1681م أعاد القائد الفرنسي مفاوضة المنطقة وتوصلا إلى هدنة، وكان جون بارت**(Jean Bart)** مرافقه في هذه الحملة حيث أنه أسر من قبل مجموعة من المغاربة[4].

د) حملة "كوتلغان" (Le chevalier Alain Emmanuel de Coétlogen)سنة1698م:

خرجت بقيادة المارشال "دو كويطلوكون" لمطاردة القراصنة السلاويين وإلقاء القيض عليهم، ونقلهم إلى مرسيليا، لكن عبد الله بن عائشة عاد إلى سلا يوم05جوان1698م،بعد أن أسر عددا من الفرنسيين، مما جعل "جان باتسيت إستيل" يعبر عن استيائه ويرجع الفشل إلى عدم أخذ تقاريره

---

(1) Roger Coindreau: **les corsaires de salé**, ed, 03, eddif, paris2006, p164.
(2)Léon Guerin : **Histoire maritime de France**, t03, ed dufour et malat, paris1854, p212.
(3)Ferdinand Hoefer**:Afrique Ausrale, cap de Bonne Esperance, Empire de Maroc**, Firmin didot ed, paris1848, 361.
(4) Roger Coindreau: Op. Cite, p72.

بعين الاعتبار، ليغادر سلا نحو فرنسا وكله أسى وحسرة، أمام فشل الذي أصاب البحرية الفرنسية في إجبار المغرب على التوقيع معاهدة السلم[1].

هـ) حملة نانتي دوكاسار(Nantais de Cassard)بين 1720م و1727م:

أصدرت القيادة العامة للبحرية الفرنسية أوامر لضباط السفن الحربية في أعوام 1716و 1721و1722م بشن هجمات على السواحل السلاوية، وكان البحار نانتي دي كاسار **(Nantais de Cassard)** قد وافق على مشروع النزول على السواحل المغربية والإغارة عليها، أين جهزت له كل الإمكانيات اللازمة، فحصل على الفرقاطة**"La seine"** تحمل 50 مدفعا، وعشرة قوارب ،واتجهت الحملة إلى جبل طارق، لكنه فشل بسبب تواجد الملك الإسباني الكثيف قدر أكثر من 30ألف متمركزين على مشارف سبتة لمواجهة السلطان المغربي[2].

2- الحملة المغربية على الجزائر والدور الفرنسي فيها:

بعد توطيد الحكم الإسماعيلي وإرساء دعائم دولته في المغرب الأقصى، وبروز طموحات لديه في توسعية على الحدود الشرقية مع إيالة الجزائر، فخشي حكام الجزائر من هذا التوسع على حساب أراضيهم، فقد سبقه محمد بن الشريف في هذا الشأن سنة1064هـ/1653م،ثم في عهد مولاي الرشيد التي أستعان بالقبائل الجزائرية كبني عامر في عملية توسعه[3].

تميزت فترة حكم المولى إسماعيل(1672م/1727م) ببعض المناوشات والاعتداءات مع جيرانه أتراك الجزائر، ولعلى الخطر الذي خشيه مولاي إسماعيل هو تمرد ابن أخيه أحمد بن المحرز بالجنوب المغربي، الذي وجد الدعم والسند العسكري من حكام الجزائر في مواجهته، وذهبت المصادر التاريخية بالقول أنه اتصل واتفق معهم لكسر شوكة المولى إسماعيل[4]،وهذا ما ذكره الناصري بقوله:" **ثم بلغه أنّ الترك خرجوا بعسكرهم، واستولوا على يني يزناسن وعلى دار ابن مشعل وانهم قد مدا يد**

---

[1] أحمد الأزمي: المرجع السابق،ص66.

[2] Paul Masson: Op.cit, p350.

[3] محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ص 110.

[4] عبد الهادي التازي: المرجع السابق،ج9،ص13.

الوفاق إلى ابن محرز وراسلوه وراسلهم، وانبرم كلامهم معه على حرب السّلطان"[1]،لكن المولى إسماعيل تمكن من القضاء عليه وعلى تمرده في أواسط ذي القعدة سنة 1096هـ/1685م[2].

استمر هذا العداء وترجم بحملات عسكرية، فقاد المولى اسماعيل حملة على الغرب الجزائري فكانت حملة الكويعة عند واد شلف سنة1112هـ/1700م،بمساعدة قبائل بنو عامر، وذوي منبع، وحميان، لكن قبائل بنو عامر انسحبوا من معسكره ليلا، عندما سمعوا مدافع الترك تطلق قذائفها، فكانت هذا سببا في هزيمة قوات المولى اسماعيل بدون قتال ،ليرجع بعد ذلك إلى المغرب مع جيشه الذي قدم معه[3].

وذكر عبد الكريم بن موسى الربفي عن هذه الموقعة:<< **إلى ان وصل إلى بلاد شليف و القويعة وبقي هناك نحو تسعة أشهر إلى أن اكل من زرعها ونهب كثيرا من اموال اهلها وكانت بينه وبين الأتراك مقتلة عظيمة وملحمة كبيرة مات فيها القائد منصور بن الرامي والقائد عبد الله بن أحميدة وكثير من الناس وذلك في سنة إثنتي عشرة ومائة وألف**>>[4].

شهد الوضع الداخلي للجزائر أحداث مضطربة إثر الهجومات الفرنسية عليها، ومقتل "الحاج حسين باشا"، فإستغلى المولى إسماعيل الوضع وأغار على تلمسان، بتحريض من الإنجليز، الذين أزعجتهم وأقلقتهم المعاهدة المئوية بين الجزائر وفرنسا سنة1689م،في هذه الفترة الحرجة كان معظم الجيش الجزائري مشغولا في حربه مع تونس سنة1698م،فاستغل هذا الوضع وهاجم الاراضي الجزائرية[5].

---

(1) أبو العباس أحمد الناصري: **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، المرجع السابق، ج7، ص65.

(2) نفسه، ص69.

(3) جلول بن قومار: **علاقات المغرب الأقصى السّياسية والدبلوماسية مع دوّل ضفتي المتوسط في عهدي احمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي(1578م–1603م)/(1672م–1727م) دراسة مقاربة**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، الجزائر2016/2015،ص139..

(4) عبد الكريم بن موسى الريفي: **زهرة الأكم**، المصدر السابق، ص 191.

(5) مولاي بلحميسي: **إرشاد الحيران في أمر الداي شعبان**، في مجلة الدراسات التاريخية، العدد02،جامعة الجزائر1986م،ص49.

بعد الحملة المغربية على تلمسان سنة1103هـ/1692م وتوغل القوات المغربية نحو المناطق الجنوبية، كان على لزاما على الداي شعبان التحرك ضد هدا الخطر، فقام بحشد قواته لدحر هذا الاعتداء المغربي، وهذا ما عبر عنه في رسالة إلى الوزير الفرنسي" بونتشارترين**"(Pontchartrain)**،بتاريخ21مارس1692م وأخرى إلى لويس الرابع عشر في 01سبتمبر1694م جاء فيها:<<.. **لقد قصد القلعة التي هي لنا "كريستل قرب وهران" حوالي500فارس مع 10000 من اشجع جنودنا، تصحبهم أفتك المدافع وكل الأسلحة والذخائر والمؤن.. وعن طريق البر أرسلنا 5000 من الفرسان و30000 من الأهالي بقيادة أمرائهم، ولين يمضي عشرون يوما حتى اخرج أنا لألتحق بهم..**>>[1].

لما سمع مولاي إسماعيل بما يعده الداي طلب العفو والأمان، فلم يقبله منه الداي فسارع الى لقائه في 4جويلية1692م في مكان يسمى" المشارع" على نهر ملوية، وقد قدرت المصادر قوات الداي حوالي أربعة وعشرون ألف من المشاة، وعشرون ألف فارس[2]،أنهزم المغاربة فيها حيث قدرت الخسائر البشرية حوالي خمسة آلاف قتيل من المغاربة، بينما لم يقتل من الجزائريين سوى مائة[3].واصل الداي زحفه حتى اقترب من فاس، فوجد في طريقه جيشا بقيادة السلطان نفسه، وكاد الاصطدام يقع لو لا تدخل علماء الجانبين لمنعه، وبعد هدوء الجو حصل الإتفاق على تعهد السلطان المغربي بإحترام الحدود[4].

بعد طلب مولاي اسماعيل الصلح نصبت خيمة تتوسط الجيشين، اجتمع فيها الداي شعبان مع السّلطان المغربي، وفي هذا الشأن يقول قالبيار**(Galibert)**:<< **إنّ السلطان مولاي إسماعيل عندما كان ذاهبا إلى الخيمة التي نصبت من أجل إبرام عقد الصلح، كانت يداه مكتوفتين، وراء ظهره إشعارا إشعار بالإستسلام، وعندما وصل أمام الخيمة قَبَّل الأرض ثلاث مرات، وأردف قائلا**

---

(1) Eugène Plantet **: correspondance des deys d'Alger avec la cour de France (1833/1579)t**01,Paris,p380-381.

(2) L éon Galibert : **Histoire de L'Algérie Ancienne et Moderne**, Paris 1843, p 234.

(3) محمد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تق وتح محمد بن عبد الكريم،ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1981،ص24.

(4) مولاي بلحميسي: المرجع السابق،ص50.

للداي:" أنت خنجر أنا اللحم فإن شئت قطع" فلم ينله مكروه من الداي بيد أنه اشترط عليه شروط عجز عن تطبيقها فيما بعد[1].لم تثني عزيمة المولى اسماعيل في معاودة الهجوم على الأراضي الجزائرية فكانت موقعة الجديوية في الغرب الجزائري سنة1112هـ/1700م قدرت قواته حوالي خمسين ألف جندي، التقى الجيشان ونشب القتال عنيف حيث هزم فيه جيش المولى اسماعيل، وعاد الجيش الجزائري بغنائم كبيرة[2].

وقد سعى المولى إسماعيل لعدم اطالة الأزمة، على الرغم من الضغط الفرنسي للسلطان المغربي لعداء الجزائر وحكامها، حيث استعملت قناصلتها وتجارها ، لجمع كل الاخبار والمعلومات عن المغرب والجزائر وما يجري بينهما، فالجزائر إعتبرت العدو المشترك بين السلكان المغربي والملك الفرنسي، نظرا للمكانة التي إكتسبتها في المنطقة وأثرت فيها.

(1) L éon Galibert: Op.cit. , p234.
(2) H .D.degrammant: **Histoire D'Alger sous la domination Turc ,1515-1830,** Ernest Leroux, Paris 1887, p270.

المبحث الثاني: دور الجهاد البحري والقرصنة في تأزم العلاقات.

شكّل الجهاد البحري عاملا مهما في طبيعة العلاقات بين المغرب وفرنسا، اذ يعتبر من بين الأسباب التي أدت بالصراع بين الملك لويس الرابع عشر والمولى إسماعيل، بالمقابل كانت القرصنة البحرية الأوروبية وخاصة الفرنسية منها ،كرد فعل دفاعي على هذه الظاهرة منتشرة، وتزايد نشاطها في الحوض الغربي للمتوسط ،وشكلت نقطة تلاقي في العلاقات الدولية بين ضفتي الشمالية والجنوبية للمتوسط ،ومظهرا خاص بين الدوليتين، حيث أقدم على إحياء وتنشيط العلاقات الدبلوماسية، بإبرام اتفاقيات ومعاهدات وتبادل للسفراء، بهدف معالجة هذه القضية بآليات سلمية، وتخفيف من حدة التوتر والصراع بين البلدين[1].

إنّ الحديث عن الظروف التاريخية التي أفرزت ظاهرة القرصنة على امتداد سواحل المغرب الإسلامي عامة ،جاء كرد فعل دفاعي تارة، ومظهر من مظاهر الرفض للهيمنة الأوروبية، في ظل عدم تكافئ ميزان القوى بين الطرفين[2].

تميزت العلاقات المغربية الفرنسية أواخر القرن16م بقضية الأسرى الفرنسيين في المغرب وكيفية تحريرهم، والسماح للسفن التجارية الفرنسية بالرسو واستخدام الموانئ المغربية، ومع دخول القرن 17م لم تكن البحرية الفرنسية ذات اعتبار يذكر، حتى قام الملك هنر الرابع بتطويرها والرفع من شأنها، إلى حين جاء الكاردينال ريشيليو إلى السلطة وعمل على تطويرها وتقوية قطعها الحربية[3].

أ)–دور مدينة سلا في الجهاد البحري:

كان لمدينة **سلا** دورا كبير في الجهاد البحري، خاصة في مصب نهر أبي الرقراق فهذه الاخيرة اعتبرت كجمهورية داخل مدينة كونها تطل على الساحل المتوسطي وقريبة من مضيق جبل طارق، وهمزة وصل بين الطرق الملاحة الأطلسية والمسالك الرئيسة للأساطيل الأوروبية المارة عليها نحو الشرق

---

(1)Rabih Said: Op.cit, p39.

(2) محمد أمين: **القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر في القرن الثامن عشر**، في مجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية،عدد21،مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،زغوان،تونس،سبتمبر2000م،ص25.

(3) Paul Masson**: les galeres De France guerre (1481-1781),** edition Hachette, paris1938, p104.

أو العالم الجديد.أما في الجانب الفرنسي فقد كان القرصنة تعتمد على ميناء مارسيليا وطولون كقاعدة لشن هجماتهم على السواحل المغربية بقيادة القرصان" جون بارت" الذي أسر الكثير من المغاربة[1].

كانت القرصنة والجهاد البحري في القرن17م هي السمّة البارزة في الأنشطة البحرية في البحر المتوسط، يمارسه المسلمون وغير المسلمين،فنتج عنها سقوط العديد من الأسرى من كلا الجانبين، الأمر الذي حرك بالآلة الدبلوماسية وتبادل السفارات، وبدأ المفاوضات من أجل حل هذه المشاكلة[2].فقد تأزمت العلاقات بين المغرب وفرنسا جراء هذه الأعمال فنجد شعوب البلدين عانت منها كثير خاصة من وقع منهم في الأسر، فكانت مشكلة الأسرى بين الطرفين واحدة من أهم القضايا العالقة التي لميتم التوصل إلى حل مناسب يرضي كل من مولاي إسماعيل ولويس الرابع عشر[3].

وبما أن القرصنة تعتبر مورد اقتصادي هاما حيث سيطر عليها القادة، فجعلها المولى اسماعيل تضاعف له في الجباية الاقتصادية لخزينة الدولة وتعطي له 10%من غنائمها، و عمد مجاهدو سلا على مباشرة اقتصادهم على الغنائم البحرية، فازدهر النشاط التجاري وراجت السلع والمنتجات الأوروبية،بأثمان زهيدة مقارنة بأوروبا نظرا لوفرتها، وحتى فرنسا كانت لها علاقات تجارية مع المدينة،حيث تستورد الصوف والمشمع والمعادن وريش النعام[4].

أما عن السفن المستعملة في الغزوات البحرية فنجدها في أغلبها عبارة عن قطع حربية متوسطة أو صغيرة الحجم، أو ما تم اغتنامه من الأوروبيين، وكانت السفن السلاوية تحمل نقوش في كوثلها(مؤخرة السفينة) صورة شمس مذهبة، وصورة هلال أو أزهار ملونة، أو نخلة وعلمين أبيضين[5].

---

[1]Adolphe Badin :**Jean Bart**, Hachette, paris, 1867, p205.

[2]فهد بن محمد السويكت: المرجع السابق،ص17.

[3]نفسه.

[4]روجي كواندرو: المرجع السابق،ص41.

[5] نفسه، ص94.

ب) أهم رياس البحر المغاربة:

ويقصد بهم أهم قيادات ورياس البحر في مدينة سلا ،ومصب نهر أبي الرقراق، ومختلف المدن المغربية الأخرى، فقد كان هؤلاء جلهم من الأعلاج ،والموريسكيين الوافدين إلى المغرب، بالإضافة إلى المغاربة الأصليين في نهاية القرن 17م، ومن بين هؤلاء الرياس نذكر منهم:

1- بن عائشة:

الظاهر أنه بدأ حياته في البحر حوالي 1672م، وفي سنة 1693م كان يقود سفينة تحمل24مدفعا وطاقما مكون من 180 رجلا، وكان أهم انتصار حققه هو الاستيلاء على سفينة برتغالية قادمة من البرازيل محملة بالكاكاو والقرنفل والسكر تقدر ب50000 ليرة، وقد ساعده أخوه عبد الرحمان الذي كان يقود سفينة مجهزة ب18مدفعا وطاقما مكون من13رجلا،فغنم الأخوين السفينة الفرنسية"**L'hirondel**"بقيادة"**Capitaine Mathieu croix**" قرب جزيرتي مادر"**Madère**" والأزور"**Les Acores**" مشحونة ببضائع قيمتها 80000ليرة[1].

2- الرايس فينسيا: وهو قرصان من اصل إيطالي، إنشق واصبح قرصانا سلاويا، أشتهر بجراته وإقدامه، إستولى سنة1683م على سفينة انجليزية بقيادة القبطان بلامي "**Bellami**"[2].

3- الرايس معيز:

يعد من بين القراصنة الأشداء لسلا، ففي سنة 1691م قاد سفينة مجهزة ب 9 مدافع وطاقم مكون من 70 رجلا، و إستولى على الفرقاطة الفرنسية " **pique**" المحملة بالصابون[3]، وبعد سنتين وقع الرايس معيز في الأسر من طرف أسطول الكونت دستري " **Jean D'estrée** "، وقد تأثر المولى إسماعيل بشدة لخسرانه ، فاقترح أن يبادله بأسير مسيحي، لكن القنصل جون بابتست إستيل

(1) روجي كواندرو، المرجع السابق، ص64.

(2) نفسه، ص71.

(3) نفسه، ص68.

عارض هذا التبادل لدى الوزير الأول بونتشارترن [1]،ورغم ذلك قبل الوزير مبادلة الأسيرين بعد أن أعطى أوامر لمسؤولي السفن بتعنيف الرايس السلاوي[2].

4- الرايس محمد الحاج قنديل:

علج من أصل فرنسي، مارس القرصنة في البحر الأبيض المتوسط، وقاد سفينة للمولى اسماعيل مكونة من79 رجلا، أغار على إحدى السفن الفرنسية المشحونة بالحبوب، وفي 12ماي1695م وقع في الأسر من طرف **"Montauzin"**، قائد السفينة الفرنسية **"Le Glorieux Saint Joseph"**،وقد تدخل القنصل ج.ب.إستيل لتحريره مقابل تحرير شابة فرنسية تدعى**"MarieBounin"** كانت أسيرة بمكناس[3].

وفي هذا الشأن أقدم المولى إسماعيل على توظيف هذا النشاط، كوسيلة للضغط على الدول الاوروبية من اجل بيع له العتاد والأسلحة الحربية، وهذا ما تبينه إحدى الوثائق الأرشيفية الرسمية التي بعث بها إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر سنة1684مجاء فيها:"... من أمير المومنين... الشريف الحسنى ايده الله ونصره...إلى عظيم الروم لويس الرابع عشر.. اما بعد ، فاعلم ان الذى ظهر لنا ان ليس عندك قول صحيح ولا كلام رجيح. فالإنجليز تكلموا معنا كلمة وقبضنا ووفوا بها. فحين ذهب خديمنا لبلادهم.. فرحوا به وأكرموه وبروا به واتى من عندهم بعشر مائة مكحلة وستة عشر مائة قنطار من البارود.. ثم بعد ذلك، قدم لعلي مقامنا صاحبكم انبشدور واتانا بشئ من الخرو مع بالطوا الحرير. وهل نحن ممن يعجبه ذلك وسيره؟ فنحن معشر العرب لا نعرف إلا الصحيح..."[4].

يبدوا أن القرصنة أخذت حيزا كبيرا لدى المولى إسماعيل في استخدامها كورقة ضغط على الدول الاوروبية والفرنسية خاصة، حيث أُعْتُمِدَ على رياس البحر من سلا ،ومختلف مناطق المغرب كابن عائشة والحاج قنديل ومعيز، فكانوا بمثابة أعين السلطان في البحر ،يراقبون كل تحركات الأساطيل

---

(1) Henri De Castries: Op. Cite, 2 série, Dynastie Félalienne, Archives et France T6, p234.

(2)روجي كواندرو: المرجع السابق،ص69.

(3) نفسه، ص69.

(4) Henri De Castries: Op. Cite, T2, p435.

الأوروبية في عرض البحر، ويقدمون بتقارير على عدد السفن والمعدات في هذه الأساطيل لتحمل هذه المدينة راية المغرب في الجهاد عل مدار القرن11هـ/17م[1].

اكتسبت جمهورية قراصنة سلا كما يسميها الأوربيون شهرة واسعة خلال القرن11هـ/17م على غرار باقي المدن المتوسطية، كقاعدة تجارية ربطت علاقات مع الدول الأوروبية خاصة تجارة الأسلحة والمعدات الحربية،لكن هذا لم يستثني من وجود خوف وقلق لدى التجار المسيحين، ورغم ذلك استمر نشاطهم الجهادي في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، في ظروف أملتها الحتمية التاريخية في الصراع بين ضفتي البحر[2].

فقد سعّت الدول الأوروبية بشتى الطرق والآليات لكسر شوكة الجهادي البحري المغربي ،باستعمال مختلف الوسائل من تضييق ومحاصرة وهجمات حربية، فألحقت أضرار كبيرة علة السفن المغربية، وهذا ما دفعهم للتركيز على الأرض وامتنعوا البحر، حيث كتب المولى إسماعيل إلى لويس الرابع عشر قولته:" ان الله منح المسلين امبراطورية الارض، بينما اعطى النصارى امبراطورية البحر"[3].

وكذلك عبد الله بن عائشة خاطب لبونت شارترن قوله:" بالله لو كان العرب رجال حرب في البحر وامتطاء الأشعة البحرية، فلن نترك قرصانا انجليزيا واحدا يعبر مضيق جبل طارق، لكن العرب لا يعرفون سوى امتطاء الخيول"[4].

---

[1] حسن أميلي: **الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر الميلادي**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط2006، ص12.

[2] Roger Coindreau: Op. Cite, p15.

[3] روجي كواندرو: المرجع السابق،ص48.

[4] نفسه.

المبحث الثالث: مسألة الأسرى وافتدائهم.

تعتبر مسألة الأسرى وافتدائهم من بين أهم القضايا التي طرأت على سطح العلاقات المغربية الفرنسية،كونها ظاهرة متنامية في الحوض الغربي للمتوسط في القرنين 17مو 18م، والتي أملتها ظروف تاريخية في إطار الصراع الإسلامي المسيحي، فقد كانت دوما محورا أساسا في التحكم في العلاقات بين البلدين، عنصر فعّال في تنشيط التواصل الدبلوماسي بينهما.

1- الأسرى المغاربة في فرنسا:

إنّ الوقوع في الأسر كان يتم عبر المراكب والسفن الأوروبية على السواحل المتوسطية بشكل عام، فنجد مساهمة أغلب السفن الاوروبية في هذه العملية ،ولا يقتصر على دولة واحدة، ويتم شرائهم في أسواق ليفورن**(Livourne)** أو مالطا**(Maite)**، عبر قناصلهم في هذه المدن، كما حدث مع الوزير الفرنسي "كولبير" الذي بعث إلى قنصله في جنوة "كومانز" **(Compans)** يدعوه لشراء عدد من أسرى المسلمين قرابة 150 إلى 200 أسير، وإرسالهم إلى ميناء مارسيليا، وكذا شراء أسرى المسلمين من الإنجليز[1].

إنّ غالبية الأسرى المغاربة كانوا من " سلا" أو المدن الساحلية الأخرى تطوان والرباط، وتضم فئات مختلفة كالنساء والشيوخ، إضافة الى أشخاص ذوي مكانة مرموقة في المجتمع، أما عن عددهم فكان في حدود 1330أسير مسلم بمرسيليا، يقيمون في ظروف معيشية مزرية وصعبة كبقية الأسرى المسلمين هناك، ويُجمعون في الموانئ الفرنسية الرئيسية **(Marseille-Brest- Toulon)**،ثم يتم نقلهم إلى المراكز المخصصة لجمعهم، وهم مكبلين بسلاسل من حديد في أيديهم وأعناقهم يسيرون في صف طويل يفوق عددهم 500أسير[2].أما عن الأعمال الموكلة إليهم فكانت تجذيف السفن، يتم معاملتهم فيها بقساوة ووحشية، إضافة إلى الظروف الجد صعبة التي يجدونها في الوسط الجوي الجديد عليهم، وهم ليسوا معتادين عليه، عمل الاسرى المغاربة في تجذيف السفن حيث كانت تضم السفينة

[1]Paul Masson: **les Galères de Frances**, hachette, paris, p.281
[2]Henry Méchoulan:**L'état Classique, Regard sur la pensée Politique deal France le seconde17émes siecles** .ed. vrin, paris1996, p332.

الواحدة200 مجذف ،يعملون لمدة شهر إلى شهرين، مكدسين مع بعض في مكان أشبه بالسجن المتحرك مساحته 40م في الطول و15م في العرض[1].

ويتم جلدهم بشكل مستمر من قبل الجلادين، ويموت بعضهم بشكل جماعي أثناء تحطم السفن لانهم يظلون مقيدين بالسلاسل ،شكلت هذه الحالة الصعبة في التعامل انهيار في نفسية الأسرى جراء المعاملة القاسية، حيث لا يجد الأسير ما يسد رمقه من أكل إلا بعضاً من الخبز اليابس والزيت، ناهيك عن الألبسة البالية والرثة التي يلبسونها وتكون بألوان موحدة، ولا يتم تغييرها مدة طويلة[2]، وتزداد ظروف المأساوية للأسرى والإساءة لهم بقدر ما يتعامل به مع الأسرى الأوروبيين في المغرب، لتكون المعاملة بالمثل هي القاعدة المتعامل بها في مثل هكذا قضايا. وكذا يُرْغَمونَ على ترك ديانتهم ومضايقتهم في ممارستهم الشعائرية، وكانت محاولات كثيرة للفرار للأسرى المغاربة لكنها فشلت وعوقب منفذوها بالإعدام والرمي في عرض البحر[3].

لم يتناس سلاطين المغرب في الذود عن تحرير وافتداء أسراهم في العديد المرات، وأرسلت سفارات دبلوماسية إلى البلاط الملكي الفرنسي كسفارة الحاج تميم في جانفي 1682م التي وقعت فيها اتفاقية السلام، ومن بين بنودها ما نص على افتداء الأسرى من كلا الطرفين بمبلغ 300 ليرة، وقد قصد مرسيليا لتفقد ورؤية الأسرى المغاربة، إلا أن الأوامر صدرت ل"جان برودار"**(Brodart)** المكلف بشؤون ميناء طولون بضرورة ابعاد المجذفين المغاربة عن أعين السفير المغربي[4].

---

[1] Henry Méchoulan :Op. Cite I, p330. وللمزيد ينظر الملحق رقم3

[2] عمر بن قايد: **علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية(فرنسا و إسبانيا) من 1069هـ-1139هـ/1659م-1727م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر 2011/2010،ص115.

[3] نفسه.

[4] Henri De Castries: Op. Cite, T2, p234.

كانت عدة مراسلات للمولى إسماعيل للبلاط الفرنسي منها رسالة مؤرخة في 21 جويلية 1684م بشأن" عبد الحق معنينو" الذي أسر في جوان 1681م أطلق سراحه في مارس 1683م، جاء فيها".. فإنني ضمن هذا الكتاب.. حيث أن خديمنا " الحاج علي معنينو" على سلا، قد أُسر مع ولده ، وكثير من المغاربة، فهو يطلب مني الذهاب إليكم لتوسط لابنه، ولكل المغاربة المأسورين معه..".

ثم رسالة أخرى مؤرخة في 29أفريل1698م بعثها الاسرى المغاربة بمرسيليا إلى المولى إسماعيل، جاء فيها".. نعلم ان لشفقتكم بنا أنكم بعثتم يا مولاي سفيركم إلى ملك فرنسا، لكن هؤلاء الكلاب، ما إن علموا بالأمر حتى أرسلونا إلى البحر، وما عدنا قادرين على التجذيف، ولكي لا يعرف سفيركم مكاننا، لقد استغفلوه وقلبوا له الحقائق، ولم يهنأ لهم بال حتى غادر فرنسا دون أدنى خبر عن معاناتنا.."[1].

2- الأسرى الفرنسيين في المغرب الأقصى 1672م-1727م:

شهد الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط حركية نشطة في الأحداث، خاصة الصراع المسيحي الإسلامي المتمثل في القرصنة والجهاد البحري، وما نتج عنه أسر العديد من الأشخاص من كلا الجانبين، فكان منهم الفرنسيون الذين دونوا معاناتهم في مذكرات داخل مراكز الأسر. ولمعرفة حيثيات القضية ارتأينا تحديد نقاط كيفية أسرهم وظروف معيشتهم وطرق افتدائهم:

كانت ظروف أسرهم تتم عبر السواحل المتوسطية للمغرب، أو يتم شرائهم عبر الموانئ المغاربية الأخرى ونقلهم إلى المغرب، خاصة ميناء فاس وتطوان، وفي رسالة وجهها قنصل فرنسا في قادش مؤرخة في 5سبتمبر1688م ،السيد"بير دي كاتالان"(**Pierre de Catalan**) إلى الوزير الفرنسي " كولبير" **(Jean Colbert)** جاء فيها:<<.. لقد أبحر الخميس الماضي القيطان" شاطو رونو" ومعه أربعة عمارات بحرية لملاحقة قراصنة من الجزائر ،أَسَروا 160فرنسي وهولندي...>>[2].

[1] عمر بن قايد : المرجع السابق:ص116.

[2] نفسه: ص118.

ازداد عدد الأسرى في عهد المولى إسماعيل، فما بين سنة 1672- 1672م أعطانا الأب لويس سان أغستين الذي عالج الأسرى يقدر عددهم ب1200أسير، وفي سنة 1687م بلغ عدد الأسرى الفرنسيين أربعمائة أسير، وبعد أربعة سنوات انخفض العدد إلى 286 أسير وحسب إحصائية 12 فبراير1691م ،ثم أرتفع العدد إلى 240 أسير سنة1703م، ونزل إلى 100أسير 1714م، ثم صعد العدد إلى 130 أسير سنة 1727م[1].

إنّ مَنْ وقع في الأسر لابد أَنْ يَمُرَ بظروف معيشية عصبة ومزرية ،وهذا ما ينطبق على الأسرى الفرنسيين في المغرب، حيث شهد العديد من الأسرى في تطوان أقسى العذاب، أو حتى الإعدام إذا حاولوا الهروب، لكن هذه الرؤية المتجذرة في مخيلة الأوروبيين، مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدعاية التي تُهَوِلُ الأوضاع وتعطي صورة سوداوية لأوضاعهم، ماهي إلا مطيّة يمتطيها الساسّة والقادة ليتم يبثها في ضعاف النفوس من الشعب، لكسب تعاطفهم ودعمهم[2].وفي هذا الصدد ينبغي قياس وضع الأسرى المسحيين في الأراضي الإسلامية ونقارنها بوضع الأسرى المسلمين في الأراضي المسيحية ليكون الإنصاف في الحق ومعرفة الحقيقة. وبمجيئ السلطان مولاي إسماعيل للحكم، جعل من الأسرى ضمن أولوياته خاصة وأنه إعتمد عليهم في بناء قصبة مكناسة، فجلبهم من مدن فاس وسلا[3].

كان الأسرى يقيمون في أماكن مخصصة لهم، عبارة عن مطامير تحت الأرض بشكل دائري مفروشة بحصير، وكان طعامهم عبارة عن مُدَيْن من الدقيق الأسود والزيت، ويسهر بعض الأسرى على اعداد الطعام للأسرى منهم ثلاثة خبازين فرنسيين، اما ما يفترشه فكان عبارة عن منصات من القصب الغليظ عليها بعض الحصر وجلد الضأن، وكل هذا يبين بجلاء تعامل المولى إسماعيل مع الأسر المسحيين عامة[4].

---

(1) Leila Maziane: **les captifs européens en terre marocaine, aux 17/18éme siècles**, in cahiers de la méditerranée, n 65, 2002, p02

(2)Mohammed El Jetti :**Tétouan, place de rachat des captifs aux XVIe et XVIIe siècles**, in cahiers de la méditerranée, n 87, 2013,04.

(3) Ibid.

(4) جيرمان مويط: **رحلة الأسير مويط**، تعريب محمد حجي و محمد الأخضر، وزارة الثقافة المغربية، دار المناهل للطباعة والنشر، المغرب1990م،ص ص60-64.

كان معظم الأسرى الفرنسيين يعملون في الزراعة والبناء ، وأصعب مهنة كانت التجذيف في السفن وإصلاح السفن، وجد منهم أيضا من يعمل في الحدادة وأعفي المتزوجون منهم لتكفل بأبنائهم، وكانت فئة الشباب المتراوحة أعمارهم ما بين20 و40 سنة، ويقضي منهم من ست إلى عشر سنوات في السجن[1].

3- طرق الإفتداء:

اعتبرت مسألة إفتداء الأسرى وتبادلهم، من بين المشكلات المعقدة والصعبة، وكانت الحكومات الأوروبية، ومنها فرنسا تجد حرجا لأنها نوع من الإذلال، ولهذا تركتها لمؤسسات الدينية وترفض تحرير الأسرى المسلمين المجبرين على العمل القاسي في السفن الفرنسية.

وكان لسفراء الفرنسيين في المغرب، "سانت أمانس" و" سانت أولون" بعض المفاوضات في شان إفتداء الأسرى، لكن مهمتهم فشلت بسبب تمسك أطراف التفاوض كلا لموقفه، وهذا ما شكل نوعا من التعقيل في أيجاد أليات توصلهم لحل القضية، ثم إن الوضع السياسي المضطرب في بعض الأحيان حال دون اتفاق تسوية المشكلة، في إرضاء الطرفين[2].

شارك التجار المسحيين والمؤسسات الدينية والقناصل في عملية افتكاك الأسرى وتحريرهم، فنجدهم يبذلون جهورا كبيرة في هذا الإتجاه، ويكرسون معظم جهودهم لراحلة الأسرى من خلال مساعدتهم في ممارستهم الدينية والرعاية الغذائية والطبية، أما القناصل المعتمدين في الموانئ المغربية فإنهم سعوا بدورهم في مساعدة الأسرى، كما جاء في رسالة "جون بيير أستيل" سنة1687م:<<... أعطيهم كل يوم الخبز واللحم للمرضى.. ومع ذلك كان يموت معظمهم بالجوع ويصابون بالعدوى من الرائحة الكريهة التي تعم المكان الموجودين فيه...>>، وله كذلك مساعدات في تخليص بعضهم فقد أنفق سنة1690م 300جنيه لتحرير 34 أسير فرنسي[3] .

---

(1) Mohammed El Jetti: Op.Cit, p04.

(2) محمد خير فارس ومحمود علي عامر: **تاريخ المغرب العربي الحديث**(المغرب الأقصى، ليبيا)، المرجع السابق، ص97.

(3) Mohammed El Jetti: Op.Cit, p06.

بعد فشل السفراء في تحرير الأسرى، جاء الدور على البعثات الدينية التي تنظمها الكنيسة، ولا سيما الثالوثيين أو الميثورين في فرنسا، الموجودة منذ عهد المولى الرشيد ولما تولى المولى إسماعيل الحكم سنة1672م، طرد رهبان" المذهب الفرنسيسكاني" سنة1677م وعوضوا برهبان" المذهب الثالوثي" لتوسط في افتكاك الأسرى[1].

كان لعائلات الأسرى دورا في افتداء ذويهم، حيث العائلات الغنية تدفع الفدية المطولة منها لتحرير أبنائها كما حال الأسير "لفيرنيت"(**Vernet)** الذي أسر سنة1715م،وأفتدي مقابل مبلغ 4250 قرشا، أما عن الاخرين فيتم التوسط لهم من كبار الشخصيات في الحكومة عبر وكلائهم الدبلوماسيين والقناصل لدى السلطة المغربية[2].

في سنة1704م كلّف الأب "بسنو"(Busnot) بمهمة التوسط لتحرير الأسرى، لكنه وجد صعوبة المأمورية، مع ذلك فقد قدم له المولى إسماعيل 12 اسير فرنسي كهدية منه، ثم جاءت منظمة" الآباء الثلاثين" في سنوات1723مو1724م ثم سنة1725م التي تكفل اليهودي "موس العطار" بهم وتوسط لهم على افتداء مئات من الأسرى الفرنسيين[3].

إنّ أهمية الأسر بالنسبة للمغرب بدأت جليا في الدور الاقتصادي الذي يذره في عملية افتدائهم، فسعره يختلف على حسب المكانة الاجتماعية للأسير، فالفدية العالية كانت مطلوبة للنبلاء ورجال الدين والجنود رفيعي المستوى، وكذا عمر وجنس الأسير فالرجل أكثر سعرا من الطفل، فأنتج ذلك ديناميكية اجتماعية نمت من خلالها نخبة تملك ثروة وقوة سياسية كبيرة، وهذا يعتبر جانب من جوانب التجارة بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط[4].

---

(1) بديعة الخرازي: **تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأقصى**،ط1،مطبعة المعارف الجديدة، الرباط2007،ص97.

(2)Leila Maziane: Op.cit., p08.

(3) عمر بن قايد : المرجع السابق،ص121.

(4) Mohammed El Jetti: Op.Cit, p8.

ومجمل القول:

– أن العلاقات العدائية بين المغرب وفرنسا، كانت بسبب سياسة الخارجية للملك الفرنسي لويس الرابع عشر، اتجاه البلدان المغاربية والتي ميزتها القوة والغطرسة، في فرض شروطه في المعاهدات والاتفاقيات، فتجلى ذلك في سياسته مع المغرب الأقصى.

– شهدت منطقة البحر المتوسط توازن في ميزان القون بين ضفتي الشمالية والجنوبية، الامر الذي جنبها تلك الحملات الأوروبية على سواحلها.

– كانت الحملات الفرنسية على المغرب، في إطار رفض المغرب لبعض مضامين المعاهدات، وتنامي الجهاد البحري ضد السفن الفرنسية في البحر المتوسط والمحيط الاطلسي.

– توسع ظاهرة الأسر في المنطقة، وردة فعل الطرف الفرنسي في تحريرهم، و فض الطرف المغربي شروط الفرنسيين الرامية بالتبادل ،عكس المغاربة الذين طلبوا إفتدائهم بالأموال.

– ظهور قوة جهادية في البحر تمثلت في المدن الساحلية للمغرب(سلا– تطوان–الرباط)، التي قادت الدفاع عن المغرب من الحملات والهجمات البحرية الفرنسية.

– رد فعل الفرنسيين على الجهاد البحري المغربي بالقرصنة البحرية التي استعملت ضد المغاربة في عرض البحر.

– الظروف المعيشية الصعبة والمزرية التي عاشها الأسرى المغاربة في فرنسا، نتيجة المعاملة القاسية لهم.

– شكل الجهاد البحري، مظهرا في العلاقات بين البلدين، حيث أقدم على إحياء وتنشيط العلاقات الدبلوماسية، بإبرام اتفاقيات ومعاهدات وتبادل للسفراء، بهدف معالجة هذه القضية بآليات سلمية، وتخفيف من حدة التوتر والصراع بين البلدين.

خـاتمة

وفي ختام هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من النتائج:

– عرف المغرب الأقصى بعد وفاة المنصور سنة 1603م حالة من الفوضى وعدم استقرار، طبعت كامل مناطق الدولة، غيرت مشهده السياسي، بخلق كيانات سياسية جديدة تريد تزعم السلطة واستثمار في الوضع المضطرب للبلاد، مدة 50سنة،ليبرز فيه العلويين الذين استطاعوا الانفراد بالسلطة واعادة الهدوء والاستقرار للمغرب.

– شهدت أوروبا عامة وفرنسا بالخصوص موجة وعي تمثلت في النهضة في عدة مجالات فكرية وعسكرية ودينية التي ضاعت ويلات الحرب والصراع بين مختلف المذاهب المسيحية، وكانت فرنسا قد تأثرت بشكل كبير من هذه الصراعات التي مست هرم السلطة بانتقال الملك من عائلة إلى أخرى .

– أن العلائق السلمية بين المغرب وفرنسا تعددت ألياتها وقنواتها في فترة العلوية ،خاصة حكم المولى اسماعيل، وهذا راجع إلى طبيعتها، من المبادلات التجارية، وافتداء الأسرى وتحريرهم.

– شكل التمثيل القنصلي الفرنسي بالمغرب من أوائل الدول الأوروبية بصفة دائمة على الأراضي المغربية ليكون أحد أقدم التمثيلات الدبلوماسية وأطولهم مدة.

– أن أغلب القناصل كانوا من التجار الذين أرسلوا بمهمات مختلفة، لتقصي الاخبار والاوضاع السائدة بالمغرب وارسال تقارير مفصلة عنها لتكون مهامهم أشبه بالعمل التجسسي.

– أن البعثات الدبلوماسية بين البلدين كانت تهدف في الاساس، إيجاد حل لمشكلة الأسرى وتحريرهم، وقضية القرصنة ، والمبادلات التجارية.

– تمحورت مضامين هذه البعثات حول قضايا الأسرى وكيفية تحريرهم، وزيادة المبادلات التجارية بين البلدين.

– لعب الجهاد البحري أو القرصنة دورا كبيرا ،حيث ان المولى اسماعيل أراد جعله تابعا لسلطته وتوظيفه في العلاقات مع الدول الأوروبية والفرنسية خاصة.

– كما أن تبادل الأسرى شكل محورا هاما في العلاقات بين البلدين، فقد أولى السلطان مولاي إسماعيل، اهمية للأسرى المغاربة في فرنسا وسعى لإفتدائهم، وكذلك بالنسبة لفرنسا التي حرص ممثلوها القناصل في التوسط لتحريرهم.

– فشل وتعثر المفاوضات في تحرير الأسرى، بسبب تمسك كل طرف بهم، كونهم يشكلون دورا كبير في اليد العاملة للبناء أو التجذيف في السفن.

– إن تنامي الجهاد البحري المغربي أو القرصنة كما سماها الغربيون، حيث أصبح مورد إقتصادي يعتمد عليه المغرب، لكن هذا لم يمكن من تسببه في توتر والقطيعة في العلاقات المغربية الفرنسية، وكان سببا في التصدي له من طرف فرنسا والدول الأوروبية بجعله مطية لشن حملات على المغرب والدول المغاربية الاخرى.

– نلاحظ أن السفراء والمبعوثين المغاربة إلى الدول الأوروبية والفرنسية خاصة ،لم يقيموا مدة طويلة، بل يتم إرسالهم لفترات قصيرة ومهام مضبوطة ومحددة، عكس فرنسا التي كان لها قناصل ودبلوماسيين لفترات طويلة.

– اعتماد المولى إسماعيل على وسطاء من تجار أجانب ويهود، من أجل تسهيل المعاملات والمبادلات التجارية، وهذا ما يبين مدى افتقار المغرب لآلة دبلوماسية هادفة تُحقق مصالح المغرب الاقتصادية والسياسية.

– مرت العلاقات المغربية الفرنسية بثلاثة مراحل :

* مرحلة التقارب والتفاهم السياسي و الدبلوماسي 1682/1672م

* مرحلة التناحر والصراعات على الرّغم من تبادل السفارات 1699/1682م

* مرحلة القطيعة والجمود الدبلوماسي 1727/1700م.

–سعي المولة إسماعيل في إيجاد حليف قوي ، فكان اختياره على الملك الفرنسي ليس الرابع عشر، الذي رأى فيه الشريك في تحقيق اهدافه وطموحاته في توحيد المغرب وتحرير ثغوره المحتلة.

وفي الأخير نرجوا أن نكونوا قد وفقنا ولو بشكل جزئي في هذه الدراسة، والتي لا شك ان فيها بعض النقائص العلمية غير المقصود، لذا لا يزال المجال مفتوحا للطلبة الباحثين في استكمال والتطرق للموضوع ومعالجة الجوانب التي أغفلناها في دراستنا عن غير قصد، ولنا أمال الكبيرة في توجهاتكم وتصويباتكم أساتذتي الأفاضل، لخبرتكم الكبيرة التي تساعدنا في تصحيح النقص في هذه المذكرة.

الملاحق

الملحق الأول:

قائمة القناصل الفرنسيين في المغرب في عهد المولى إسماعيل العلوي[1].

إسم القنصل ولقبه		سنة تعيينه وخدمته	مكان خدمته
جوليان فرنسوا	Julien Françoi	1672	سلا
ريمون أنطوان	Reymond Antoin	1679–1672	سلا
قوتيي بيار	Gautier Pierre	1680–1679	سلا
قوتيي بيار	Gautier Pierre	1683–1681	سلا
بووار توسى	Boyer Toussai	1683–1682	تطوان
بيريلي جوان	Périllie jean	1687–1683	سلا– تطوان
إيستيل بيار	Estelle Pierre	1701–1685	طنجة– تطوان
إيستيل جون باتيست	Estelle Jean Baptiste	1701–1689	سلا
دوفاتري	De Vatry	1705–1703	تطوان
لماكدولين بيار	LaMagdeleine	1718–1707	تطوان–سلا

[1] جلول بن قومار: المرجع السابق،ص223.

الملحق الثاني:

صورة الرسالة التي بعث بها السلطان المغرب المولى أسماعيل بن الشريف العلوي، إلى ملك فرنسا لويس الرابع عشر، والمؤرخة 15 ربيع الثاني عام1093هـ/23أفريل1682م[1].

[1] ينظر محمد داود: تاريخ تطوان، المرجع السابق،ص61.

نص الرسالة بخط مقروء[1].

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على لانبي بعده

من عبد الله تعالى الإمام المغرب وما والاه من اقطار الإسلام أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني(ثم طابع مستدير نقش وسطه) إسماعيل بن الشريف الحسني رعاه الله(وبدائرته يمينا) اليمينو الإقبال وبلوغ الأمال ومثل ذلك يسارا.

أيده الله أوامره وخلد مفاخره الكريمة ومآثره آمين إلى عظيم الروم الإمبراضور ببلاد فرنسة الرابع عشر من هذا الإسم ، السلام على من إتبع الهدى. أمابعد اعلم أنه بلغنا أصحابنا كتابك وذكروا لنا خيرك وبرورك بهم وفرحك بجميعهم فكذلك ينبغي لك أن تكون إذ أنت من سلالة عظيم الروم الذي كتب له جدنا وسيدنا فلا نرضى نحن أن نتكلم إلا معك لانك قابض على امرك وكلام طاعتك مقصور على رأسك واما الاجناس الأخرى فكلامهم عند أهل ديوانهم ولا يبلغون منزلتك عندنا أبدا لما نعلمه من علو همتك عليهم فأنت الذي تستحق أن تكون انبراضور على سائرهم ولا يستحق تاجهم إلا انت لأن يدك هي العليا عليهم بحذافرهم، وفي البوم الذي يصلنا الباشضور من عندك فلا يعود إليك إن شاء الله إلا بما بسرك ويرضيك ولك عندنا إلا ما تريده وتشتهيه في خاطرك والسلام.

وكتب في خامس عشر ربيع الثاني ثلاثة وتسعين وألف

(1) ينظر جلول بن قومار: المرجع السابق،ص228.

الملحق الثالث:

قائمة بعض الأسرى المغاربة في عملية التجذيف السفن الفرنسية[1]

الإسم	الرقم	الأصل	سنة الأسر	العمر	مكان العمل	متوفى/مفتدى
عبد الرحمان	3288	سلا	1686م	30سنة	L'elatante	1717م
أحمد/ أنطوان فوزينكو	3320	سانت كروا	1686م	42سنة	-	–
سليمان بن أعمر	3292	سلا	1686م	26سنة	La Duchesse	–
عبد الله بن علي	5426	سلا	1691م	36سنة	Solidat	1702م
عبد الواحد بن عبد الرحمان	5430	سلا	1691م	30سنة	–	1703م
قاسم بن فنيش	5423	سلا	1691م	35سنة	Solidat	1702م
مرزوق بن سعيد	5362	تطوان	1691م	30سنة	طباخ	1708م
محمد برادو	5404	سلا	1691م	26سنة	طباخ	1710م
سعيد بن بلخير	7380	المعمورة	1707م	20سنة	–	–
أحمد بن عبد الله	7383	العرائش	1707م	50سنة	Mortelot	1709م
بوجمعة بن محمد	7370	مراكش	1707م	46سمة	–	1710م
الناصر بن مسعود	7357	تطوان	1707م	40سنة	Mortelot	–
رابح بن بلخير	7376	مكناس	1707م	28سنة	حلاق	1711م
فاتح بن المبروك	7382	سلا	1707م	–	–	1709م

[1] عمر بن قايد: المرجع السابق،ص242.

الملحق الرابع:

رسم السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف ثالث سلاطين الدولة العلوية[1].

[1] نقلا عن عبد الرحمان بن زيدان: **العلائق السياسية للدولة العلوية**، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط1999،ص49.

الملحق الخامس:

رسم للسفير محمد تميم سفير السلطان مولاي إسماعيل لدى لويس الرابع عشر أخذ له هذا الرسم بباريس سنة1093هـ/1682م[1].

الحاج محمد تميم التطواني والحاج علي معنينو السلوي يشاهدان عرضاً في أوبرا باريس خلال وجودهما بها في اغراض ديبلوماسية

[1] ينظر عبد الرحمان بن زيدان العلوي: المرجع السابق،ص48.

الملحق السادس:

– صورة ملك فرنسا لويس الرابع عشر1643م–1715م[1].

[1] ينظر مولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة1830م**،ط2،دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ج2،الجزائر2007،ص67.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً– القرآن الكريم

رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق.

ثانيا– الوثائق الأرشيفية المطبوعة والمنشورة باللغة الأجنبية:

1-Henry De castry **: les sources inédites L'histoire du Maroc, l'ère série dynastie saadienne**, Archives bibliothèques de Holland, T1, éditeur Ernestle rouxparis1909

2-Henri De Castries**: les sources inédites de L'histoire du Maroc ,1serie, dynaste saadienne**, Archives bibliothèques de France, T2, éditeur Ernest Leroux, Paris.1924

3-Henri de Castries: Sources inédites Histoire du Maroc, deuxieme série, Dynastie Félalienne, Archives et Bibliothèques de France, T I, Paris, 1924

4-Henri De Castries**: Sources inédites Histoire du Maroc, deuxieme série, Dynastie Félalienne**, Archives bibliothèques de France, T IV, éditeur Ernest Leroux, Paris1934

5- de Card- Rouard: **Traités entre la France et le Maroc**, étude historique et juridique, in Pedone ed, Paris1898.

ثالثا– المصادر العربية والمعرّبة:

1- جول مازاران: **دليل السياسي الناجح ،وصايا السياسي الفرنسي الداهية**، ترجمة حسن خميس دار الطلائع للنشر، القاهرة ،2006.

2- الزياني أبو القاسم أحمد: **الترجمان المغرب عن دول المشرق والمغرب**، ترجمه للفرنسية هوداس، المطبعة الوطنية، باريس1882.

3- الريفي عبد الكريم بن موسى: **زهر الأكم**، دراسة وتحقيق آسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط1992.

4-الضّعيف محمد الرباطي: **تاريخ الضّعيف(تاريخ الدولة السّعيدة)** ، تحقيق أحمد العماري،ط1،دار المأثورات الرباط1986.

5- ابن عيشون ابو عبد الله محمد الشراط: **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس،** تحقيق وهراء النظام،ط1،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب1997.

6- القادري محمد بن الطيب: **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني،** تحقيق محمد حجي واحمد توفيق، دار الغرب الإسلامي،بيروت1996.

7- مويط جيرمان: **رحلة الأسير مويط،** تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، وزارة الثقافة المغربية، دار المناهل للطباعة والنشر، المغرب1990.

8- بن ميمون محمد الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،** تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر1981.

9- المجهول: **تاريخ الدولة السعدية الدرعية التّكمدارتية،** تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة،ط1،دارتينمل للطباعة والنشر،مراكش1994.

10- الوزان حسن بن محمد الفاسي: **وصف إفريقيا**،ط2،ج1،تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب لإسلامي،بيروت1983.

رابعا- المراجع العربية والمعربة:

1-الأزمي أحمد: **العلاقات السياسة والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا على عهد السلطان مولاي إسماعيل(1672م/1727م)**،منشورات ما بعد الحداثة، فاس 2008.

2-أملي حسن: **الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر**،ط1،دار ابي رقراق للطباعة والنشر، الرباط2006.

3-أرتمونت : ضمن المؤلف الجماعي، **تاريخ افريقيا العام**،10ج،ط2، بقلم محمد الفاسي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت1990،ج2..

4- أبو علية عبد الفتاح و ياغي إسماعيل: **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، دار المريخ، الرياض،1993.

5- البطريق عبد الحميد ونوار عبد العزيز: **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا**، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1971.

6- براون جفري: **تاريخ أوروبا الحديث**، ترجمة علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت،2006

7- التازي عبد الهادي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**،مج8و9،مطابع فضالة، المحمدية المغرب1988.

9- الجمل شوقي عطا الله: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)**،ط1،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1977.

10- جمال الدين محمود محمد و نوار عبد العزيز سليمان: **التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، دار الفكر العربي، مصر، 1999.

11- حاطوم نور الدين: **تاريخ القرن السابع عشر في أوربّة**، دار الفكر، دمشق 1987.

12-حركات ابراهيم: **السياسة والمجمع في العصر السعدي**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء1985.

13- حجي محمد: **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**،ط1، الطبعة الوطنية، الرباط1964.

14- حركات ابراهيم: **المغرب عبر التاريخ**،ط2، دار الرشاد الحديثة،ج3، الدار البيضاء، المغرب1994.

15- حركات ابراهيم: **المغرب عبر التاريخ**، ، دار الرشاد الحديثة،ج2، الدار البيضاء، المغرب2000.

16- الخرازي بديعة: **تاريخ النصرانية في المغرب الأقصى**، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط2007.

17– داود محمد: **مختصر تاريخ تطوان**،ط2،مطبعة المهدية،تطوان،المغرب1955.

18– راشد زينب عصمت: **تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن 16 الى نهاية القرن 18**،ج1،دار الفكر العربي، القاهرة، 1986.

19– رمضان عبد العظيم: **تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج1، 1999.

20– بن زيدان عبد الرحمان: **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، المطبعة الاقتصادية، الرباط 1937.

21– المنتزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل بن الشريف، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، ط1، مطبعة إديال، الدار البيضاء، المغرب 1993.

22– العلائق السياسية للدولة العلوية، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط1999.

23– إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر،ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة2008،ج3.

24– زيدان عبد الكريم: **مجموعة بحوث فقهية**،ط1،مؤسسة الرسالة،بغداد1982م.

25– فهد بن محمد السويكت: **سفارة عبد الله بن عائشة إلى البلاط لويس الرابع عشر1110هـ–1696م،أسبابها ونتائجها**، الجمعية التاريخية السعودية، مارس2004.

26– الشاذلي عبد اللطيف: **الحركة العياشية، حلقة من تاريخ المغرب في القرن17**،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1982.

27– صبري إسماعيل ربيع و محمد محمود: **موسوعة العلوم السياسية**، دار الوطن، الكويت1993،

28– بنعبد الله عبد العزيز: **تاريخ المغرب(العصر الحديث والمعاصر)**، نشر وتوزيع مكتبة السلام الدار البيضاء، مكتبة المعارف،ج2، الرباط.

29– عبد العزيز بنعبد الله:**السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ**،المعهد الوطني للدراسات القضائية،الرباط1985م.

30– عمر عبد العزيز عمر: **دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية1992.

31– عبد الفتاح أبو علية وإسماعيل ياغي: **تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**،ط3، دار المريخ، الرياض 1993.

32– فارس محمد خير و محمود علي عامر: **تاريخ المغرب العربي الحديث**(المغرب الأقصى، ليبيَة) منشورات دار دمشق، دمشق1999.

33- قنال جمال: **معاهدات الجزائر مع فرنسا1610–1830م**، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، الجزائر 2007.

34– القبلي محمد: **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**،ط1،منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة،الرباط2011،

35–كريم عبد الكريم: **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط2، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء1978.

36–كينيث براون: **موجز تاريخ سلا(1800–1100م)**، ترجمة محمد حبيدة وأناس لعلو،ط1،منشورات مجلة أمل، دار اليسضاء،المغرب2001.

37–كمال عمر توفيق: **الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصلبيين**،ط1،مركز الإسكندريةللكتاب،الإسكندرية1998.

38– كواندرو روجي: **قراصنة سلا**، ترجمة محمد حمود، المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس،الرباط1991م.

39– المنصور عبد الوهاب: **أعلام المغرب العربي**، ج 5، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب 1990.

40– الناصري أحمد بن خالد: **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، 9ج، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، ج6و7، الدار البيضاء1655.

41– نايت بلقاسم مولود قاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة1830م**،ط2،دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،ج2،الجزائر2007.

42– هربرت فيشر: **أصول التاريخ الأوروبي** الحديث من النهضة إلى الثورة الفرنسية، ترجمة زينب عصمت راشد وآخرون،ط3،دار المعارف،مصر1970.

43– يحي جلال: **أوربا في العصور الحديثة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب،الاسكندرية،1981.

44– يحي جلال: **التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

خامسا– المراجع الأجنبية:

1- Baden-Adolf: **Jean-Bart**, Hachette, Paris, 1867.

2- Colbert: **Mémoires de la suppression de la population française**, Bibliothèque centrale des publications populaires, Paris1880.

3- cornot cussy-de Ferdinand: **Collection du détroit des magasins et de la - navigation en France**, Paris1835

4-. Charles Pines**: Les prisonniers français au Maroc au XVIIe siècle (1577-1699)**, publié par l'Institut d'études marocaines, Rabat, 1944

5- Doneaud -Alfred : **Histoire de la marine française, Origines, à la fin du XIXe siècle**, Editins, Marine Anchor, Saint-Malo, 2002.

6-Docteur en médecine**: Histoire de l'Algérie sous la domination turque, 1515-1830**, Ernest Leroux, Paris 1887

7-Ernest Fallot**:la solution française de la question du Maroc**, Librairie Ch. Delagrave, paris1904.

8- Hanotox - Gabri: **Histoire du cardinal de Richelieu, jeunesse de Richelieu, (1585-1614), France En1614**, Bibliothèque de l'histoire nationale, Paris 1893.

9- Hoover Ferdinand**: Afrique Ausrale, Cap de Bonne Espérance, Empire .du Maroc**, Firmin didot ed, paris1848

10- Gargot-Benoit**: Les habitants de la France aux XVIe, XVIIe et XVIIIe siècles**, Ed, Avery, Paris, 1988.

11-Guérin Lyons**: L'histoire maritime de la France**, t03, ed dufour et malat, paris1854.

12- Galibert-L eon: **Histoire de l'Algérie ancienne et moderne**, Paris1843.

13- Kendro-Roger: Le cours salé, Ed, 03, eddif, Paris 2006.

14- L'Orait-François**: L'État et la région, comme Laquetin au XVe siècle**, exerçant des pressions sur les universités, Bordeaux 1998.

15-Léon Godart: Description de l'histoire Maroc.ed.tanera, Paris 186

16- Maçon Paul**: Les coquillages français, Marseille, Port de guerre - (1781/1481)**, édition Hachette, Paris 1938.

17- Mason Paul: **Histoire des institutions françaises et commerciales en Afrique, Paris (1560-1793**), Paris 1903.

18- Michelin-Henry: L'état classique, voir la politique de la pensée, traita la France au XIIe siècle. Paris, Paris 1996.

19-Maçon Paul: **Galerie de Francis, La haine**, Pari.

20-Necrove Younis: **Une amitié forte, Moulay Ismail et Louis XIV**, publiée par Albin Michel, Paris1987.

21- Noël - Père**: Rapports de la France et de la République tchèque**. Étude diplomatique et loi internationale sur l'histoire, Paris1905.

22-Plant Eugene**: Correspondance Alger avec un tribunal France (1579/1833)**, Paris,

23-Paul Mason: **La guerre de la galerie de France (1481-1781),** édition de Hachette, Paris 1938

24-Racham - Daniel: **l'histoire du Maroc de Moulay Idris à Mohamed VI**, Saint-Amand-Montréal, Liberty-Arche-Vard, France 2012.

25- Rue Olari**: Histoire de la blond**e, volume I, rédacteurs, confrérie de Bodo, Paris 1827

26-Tomasi-Raymond : **Le Maroc et ses convois, ou les relations de la France avec cet empire**, la trente-troisième édition. Bibliothèque de Charle Douniol, Paris 1859.

27-Valot-Ernst: **La solution française à la question marocaine**, Libery

28-Vagan: **extraits inédits concernant le Maroc**, l'Algérie1924

سادسا– المقالات العربية المنشورة:

– مجلة دعوة الحق:

1– حجي محمد :**الدور السياسي للزاوية الدلائية**،العدد4،فيفيري1965.

2– حركات ابراهيم: **جمهورية ابي رقراق**، عدد03المغرب، جانفي1965،

3– السقاط عبد الجواد: **من تاريخ الحركة الثقافية في عهد المولى إسماعيل**، عدد 258،الرباط1986.

– مجلة البحث العلمي:

4– العمراني عبد الله: "**سياسة مولاي إسماعيل الخارجية**"، العدد 4–5،جامعة محمد الخامس، الرباط 1965.

مجلة مكناسة:

5– إخوان زهراء:" **بدايات آليات التدخل الأوروبي في المغرب والقنصليات الأجنبية في القرن السابع عشر**"، جامعة المولى إسماعيل،عدد11، مكناسة، المغرب1997.

– مجلة المغرب:

6– بلفريج أحمد: "**اهتمام ملوك المغرب بالفداء**"،عدد14،الرباط1934.

– مجلة كان التاريخية:

7– ساسيوي الفيلالي الحاج: " **ثورات المدن في المغرب الأقصى لحديث مدينة فاس في عهد السلطان المولى إسماعيل(1672–1727)**"،عدد17،سبتمبر2012م.

– مجلة المؤرخ العربي:

8– يحي جلال: "**المولى إسماعيل وتحرير الثغور المغرب**" الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، عدد3،.

– مجلة الدراسات التاريخية:

9– بلحميسي مولاي:" **إرشاد الحيران في أمر الداي شعبان**"،العدد02،جامعة الجزائر1986م.

– مجلة التاريخية للدراسات العثمانية:

10– أمين محمد: "**القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر في القرن الثامن عشر**"، عدد21،مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،زغوان،تونس،سبتمبر2000م.

سابعا– المجلات الأجنبية:

1- Leila Maziane: **les captifs européens en terre marocaine, aux 17/18éme siècles**, in cahiers de la méditerranée, n 65, 2002,

2- Mohammed El Jetti: **Tétouan, place de rachat des captifs aux XVIe et XVIIe siècles**, in cahiers de la méditerranée, 2013.

3-Caillé Jacques**: Le consul Jean-Baptiste Estelle et le commerce de la France au Maroc à la fin du XVIIe siècle**, Revue française d'histoire d'outremer française, tome 46, n°162, 1959.

ثامنا– المواقع الإلكترونية:

محمد بكور: "**آليات الدبلوماسية المغربية ومسألة التجاوز**"، مقال منشور في مدونة تجريبية، يوم السبت، 2 مايو 2015.الموقع: http://histoiire-du-2015maroc.blogspot.com/html2/blog-post_05/. في يوم 2019/04/24 بتوقيت11:20.

تاسعا– الرسائل الجامعية باللغة العربية:

1– سهل جمال: **البعثات الدبلوماسية المغربية للبلاط الفرنسي خلال القرن 11هـ/17م**،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة، المركز الجامعي غرداية2010-2011.

2– بن قايد عمر: **العلاقات علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية(فرنسا و إسبانيا) من 1069هـ–1139هـ/1659م–1727م**،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث غير منشورة، المركز الجامعي غرداية، 2010-2011.

3– بن قومار جلول: **علاقات المغرب الأقصى السّياسية والدبلوماسية مع دوّل ضفتي المتوسط في عهدي احمد المنصور السّعدي وإسماعيل العلوي(1578م–1603م)/(1672م–1727م) دراسة مقاربة**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2016/2015.

عاشرا– الرسائل الجامعية باللغة الفرنسية:

1-Rabih SAIED: **Le Regard Francais Sur Les Envoyé Maroquins Du XVIIe Et XVIIIe Siecles**, Mémoire de D.E.A. Diplôme d'Etudes Approfondies rédigé, sous la direction de jean Pierre Duteil, Universite Paris vii vincennes saint-Denis, 1999-2000.

2- Rabih SAIED: **Deux Ambassades Marocaines En France XVII Siecle Images et représentations de la France du XVII siècle chez deux ambassadeurs marocains, Maitrise**, Universitaire De Picardie Jules Verne Faculte D'Histoire Et De Géographie Année Universitaire, 1998-1999.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات	الصفحة
الاهــداء	
الشّــكر	
قائـمة المـختصـرات	
المقــدمـــــة	12-1
الفصل الأول: العلاقات الأوضاع العامة للمغرب الاقصى وفرنسا في النصف الثاني من القرن11هـ/17م	
المبحث الأول: الـأوضاع العامة للمغرب الأقصى قبيل سنة1672م	16-15
أولا: تعاقب ابناء زيدان على الحكم	17-16
ثانيا: ثانيا: القوى الدينية ودورها السياسي	20-17
ثالثا: الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية	21-20
رابعا: بدايات ظهور العلويين	21
4-1 نسب الاسرة العلوية	22-21
4-2- بدايات ظهور العلويين	23-22
4-3 الدولــة العلويــة في عهــد المــولى الرشــيد 1075-1082 هـ/1664-1672م.	24-23

4-4 عهد المولى اسماعيل بن الشريف (1139-1082هـ/1672-1727م)	24
4-5 جهوده في بناء الدولة.	26-25
المبحث الثاني: الأوضاع العامة في لفرنسا قبل 1672م.	27
أولا: انتقال الحكم من عائلة فالوا (Valois) إلى أسرة البوربون(Bourbon).	28-27
ثانيا: الصراعات الدينية ومركزية السلطة	29-28
1- الكاردينال ريشيليو(Cardinal De Richelieu) 1624-1643م	31-29
2- الوزير الأول مزران (Jule Mazarin)	31
3- حرب الفروند 1648-1653م	32
ثالثا: الأوضاع الإجتماعية والاقتصادية	34-32
المبحث الثالث: تولي لويس الرابع عشر العرش1661-1715م.	36-34
النهوض بالبحرية الفرنسية	37-36
إستنتاج	38-37
الفصل الثاني: العلاقات السياسية السلمية بين المغرب الأقصى وفرنسا 1772م/1727م	
المبحث الأول: بداية العلاقات السياسية بين البلدين	43-41
المبحث الثاني: التمثيل الديبلوماسي وتبادل السفارات.	44
أولا: السفارات المغربية إلى البلاط الملكي الفرنسي:	44
1- سفارة الحاج محمد تميم 1681/1682م:	44

2- ظروف و أسباب السفارة:	45-44
3- بنود المعاهد ونتائج السفارة:	48-46
4- نتائج سفارة محمد تميم:	48
5- معاملة غير لائقة للسفير المغربي:	49
ثانيا: سفارة الأميرال عبد الله بن عائشة1110هـ/1698:	50-49
1- أسباب وظروف سفارة بن عائشة	51-50
2- مفاوضات المغربية الفرنسية ونتائج السفارة:	51
4- مولاي اسماعيل ومشروع الزواج بالأميرة دي كونتي(La princesses de Conti)	52
5- نتائج سفارة عبد الله ابن عائشة.	53-52
ثالثا: مرحلة القطيعة والجمود الدبلوماسي1700م/1727م.	53
رابعا: السفارات الفرنسية إلى الاراضي المغربية.	54
1- سفارة " دوسانت أمان (Saint Amans) عام 1682م.	54
- نتائج السفارة.	55-54
2- سفارة "بيدو دوسانت أولون (pidou de Saint OLon) 1693م:	55
أ) أسباب السفارة	55
ب) المفاوضات والنتائج.	56

المبحث الثالث: دور القناصل والمراسلات في إرساء السلم والوئام.	85-57
أولا: مهام القناصل والدبلوماسيين الفرنسيين في المغرب الأقصى:	59-58
ثانيا: القناصل الفرنسيين في التراب المغربي(1659م-1718م):	63-59
ثالثا: مراسلات مولاي إسماعيل إلى البلاط الفرنسي:	66-63
المبحث الرابع: التبادل التجاري وربط المعاهدات 1672م-1727م.	67
1- الاتفاقيات والمعاهدات بين الدولتين:	68
2- المعاهدة الفرنسية المغربية سنة1682م	69
إستنتاج	70
الفصل الثالث: العلاقات السياسية العدائية بين المغرب الأقصى وفرنسا1672م/1727م	
المبحث الأول: الحملات الفرنسية على المغرب 1670-1728م.	73
1- الحملات الفرنسية على المغرب1670-1728م.	75-73
2- الحملة المغربية على الجزائر و الدور الفرنسي فيها.	78-75
المبحث الثاني: دور الجهاد البحري والقرصنة في تأزم العلاقات.	80-79
أ- دور مدينة سلا في الجهاد البحري.	79
ب- أهم رياس البحر المغاربة:	83-81

المبحث الثالث: مسألة الأسرى وافتدائهم.	83
1- الأسرى المغاربة في فرنسا.	86-83
2- الأسرى الفرنسيين في المغرب الأقصى 1672م-1727م:	89-87
إستنتاج	90
الخاتمة	94-92
الملاحق	102-96
قائمة المصادر والمراجع	113-104
فهرس المحتويات	119-115
ملخص الدراسة	

الملّـخص:

عرف المغرب منتصف القرن الحادي عشر هجري/ السابع عشر ميلادي17، حالة من عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، نتيجة الصراع بين أبناء السلطان أحمد المنصور، وظهور امارات وكيانات وقوى دينية مستقلة تصارعت فيما بينها على حكم المغرب، وفي عام1636م بزت قوة جديدة تمثلت في العلويين بقيادة مولاي الشريف، حيث حرص العلويون على اعادة الهدوء والامن للبلاد، ومع وصول المولى اسماعيل للحكم و الذي يعتبر المؤسس الفعلي للدولة العلوية، لتشهد الدولة أوَّج قوتها على المستوى الخارجي والداخلي، حيث عمل على ربط علاقات مع مختلف دول المنطقة المتوسطية.

أما الوضع في فرنسا، تميز بالاضطراب والصراع، فبعد وفاة هنري الرابع عام1610فتح المجال امام عدم استقرار وحروب دينية بين الكاثوليك والبروتستانت، ليظهر رجلين (الكاردينال ريشيليو- الوزير مازران) أعادوا الإستقرار السياسي لفرنسا بفضل حنكتهما ودهائهما السياسي في معالجة الأوضاع بحكمة وذكاء، ومع إعتلاء لويس 14 الملك زادت قوة ونفوذ الفرنسي وتأثيرها السياسي في المنطقة، الأمر الذي جعل مولاي إسماعيل يبادر لتقرب منه وربط علاقات معه.

شهدت العلاقات المغربية الفرنسية ، تباين متنوع في مظاهر هذه العلائق، منها السياسية والتجارية تحكمت فيها عدة قضايا ، عَجَلّت بالتمثيل الدبلوماسي وتبادل السفارات بين البلدين، فمشكلة الأسرى من اهم القضايا طرحا في اروقة المفاوضات، فقد شهد البلاط الملكي الفرنسي عدة سفارات مغربية اليه ، ونفس الشيء بالنسبة للمخزن المغربي، ولم تخلو العلاقات فترات من الجمود والتصادم والقطيعة الطويلة، بسبب عدة ظروف، ابرزها الجهاد البحري المغربي وتناميه في البحر المتوسط بإستهدافه للسفن والمراكب التجارية لفرنسا، وكذا رد فعل الفرنسي بالقرصنة على السفن المغربية .

Summary:

Morocco was known in the middle of the eleventh century, AH / AD seventeenth century. A state of political, social and economic instability due to the conflict between the sons of Sultan Ahmed al-Mansur and the emergence of the United Arab Emirates, independent entities and religious forces who fought for the Moroccan regime and 1636, where a new force is born. The Alawites have sought to restore calm and security in the country and, with the arrival of Isma'il Isma'il, the true founder of the Alawite state, this state reflects its strength externally and internally.

The situation in France was characterized by troubles and conflicts after the death of Henry IV in 1610, opening the way for instability and wars of religion between Catholics and Protestants.2 Two men (Cardinal Richelieu - Minister Mazzran) restored France's political stability thanks to their wisdom and political determination to face the situation wisely and intelligently. With the advent of Louis XIV, the king strengthens the influence of the French and their political influence in the region, prompting Moulay Ismail to take the initiative to approach and communicate with him.

The Franco-Moroccan relations are characterized by many aspects, in particular political and commercial, which made it possible to solve many problems which accelerated the diplomatic representation and the exchange of embassies between the two countries, the problem of the prisoners constituting the one of the most important points of the negotiations. Himself on the Moroccan store, relations were not without stalemate, confrontation and a long pause, due to many circumstances, including the Moroccan maritime jihad and its growth in the Mediterranean targeting French ships and merchant ships, as well as the French reaction Moroccan piracy ships.